الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الأقصى



الدولة السعدية

- القسم الثاني -

الجزء السادس



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :
الاستاذ جعفر الناصري - والاستاذ محمد الناصري

***



الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة السعدية

– القسم الثاني –

الجزء السادس

تحقيق وتعليق ولدى المؤلف :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري

دار الكتاب
الدار البيضاء
١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة السعدية

القسم الثاني

الخبر عن دولة السلطان أبي المعالي زيدان بن احمد المنصور رحمه الله تعالى

لما توفي المنصور رحمه الله وفرغ الناس من دفنه اجتمع أهل الحل والعقد من اعيان فاس وكبرائها والجمهور من جيش المنصور على بيعة ولده زيدان ، وقالوا: ان المنصور استخلفه في حياته ومات في حجره، وكان ممن تصدى لذلك القاضيان : قاضي الجماعة بفاس ابو القاسم بن ابي النعيم ، والقاضي ابو الحسن علي بن عمران السلاسي ، والاستاذ ابو عبد الله محمد الشاوي ، والشيخ النظار ابو عبد الله محمد بن قاسم القصار وغيرهم . ويحكى ان القاضي ابن أبي النعيم قام في الناس خطيبا وقال : اما بعد ، السلام عليكم ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع الناس على ابي بكر رضي الله عنه ، ونحن قد مات مولانا أحمد وهذا ولده مولانا زيدان اولى بالملك من اخوته. فبايعه الحاضرون يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الاول سنة اثنتي عشرة والف(*) . قالوا : وكان زيدان لما توفي والده كتم موته وبعث جماعة للقبض على اخيه الشيخ المسجون بمكناسة

(*) قال المؤرخ المجهول: بويع زيدان بعد وفاة ابيه وقبل دفنه، ونسب الخطبة الاتية للقصار وزاد فيها بعد قوله اجتمع الناس على ابي بكر ما نصه : فبايعوه واخذوا في تجهيز رسول الله بعد ذلك ونحن كذلك نفعل. واظن هذه الرواية اقرب الى الواقع لان القصد بالخطبة هو تبيين السنة في تقديم المبايعة على الدفن والا كانت من محض الاخبار بالمعلوم

فسنحهم من ذلك الباشا جؤذر كبير جيش الاندلس وحمل الشيخ موثقا الى مراكش حتى دفعه الى اخيه أبي فارس وكان شقيقا له ، فلم يزل مسجونا عنده الى ان كان من امره ما ياتي كذا قال بعضهم . وقال في شرح «زهرة الشماريخ» : ان زيدان لما اشتغل بدفن والده احتال القائد ابو العباس أحمد بن منصور العلج فذهب بنصف المحلة الى مراكش نازعا عن زيدان الى ابى فارس ومر فى طريقه بمكناسة فاخرج الشيخ من اعتقاله واحتمله معه الى ابى فارس فسجنه فلم يزل مسجونا عنده الى ان كان من امره ما نذكره والله تعالى أعلم

انحراف أهل مراكش عن طاعة زيدان وبيعتهم لابي فارس وما نشأ عن ذلك من الفتنة

كان المنصور رحمه الله قد فرق عمالات المغرب على اولاده كما مر ، فاستعمل الشيخ على فاس والغرب وولاه عهده ، واستعمل زيدان على تادلا واعمالها ، واستخلف ، عند نهوضه الى فاس ، ابنه ابا فارس على مراكش واعمالها وكان يكاتبه بما مر بعضه من الرسائل ، فلما اتصل باهل مراكش وفاة المنصور وكتب اليهم أهل فاس بمبايعتهم لزيدان امتنعوا وبايعوا أبا فارس لكونه خليفة ابيه بدار ملكه التى هي مراكش ولان حنن الخاصة من حاشية أبيه كان يميل الى ابى فارس لان زيدان كان منتبذا عنهم بتادلا سائر ايام ابيه فلم يكن لهم به كبير المام ولا مزيد استئناس ، مع أنه كان جديرا بالامر لعلمه وادبه وكمال مروءته رحمه الله الا ان السعد لم يساعده وقد قيل في المثل قديما : « قاتل بسعد والا فدع » ، ولما شق أهل مراكش العصا على زيدان كثر فى ذلك القيل والقال حتى صدرت فتوى من قاضي فاس ابن ابي النعيم ، ومفتيها ابي عبد الله القصار تتضمن التصريح بحديث : «اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» وكانت بيعة

أبي فارس بمراكش يوم الجمعة أواخر ربيع الاول من سنة اثنتى عشرة والف ، وهو شقيق الشيخ المأمون ، امهما ام ولد اسمها الجوهر ، ويقال الخيزران ، واسم ابى فارس هذا : عبد الله وتلقب بالواثق بالله ، وكان اكولا عظيم البطن مصابا بمس الجن ويقال : انه لذلك ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح الشيخ ابى العباس السبتى وشيد مناره وشحن الخزانة التى بقبلى الجامع المذكور بمنتخب الكتب ونفيس الدفاتر كل ذلك رجاء ان تعود عليه بركة ذلك الشيخ بالبرء من تلك العلة ، وكان مع ذلك يميل الى المروءة والرفق وحسن السيرة رحمه الله

نهوض السلطان زيدان لحرب أبي فارس وانهزامه بام الربيع ثم فراره الى تلمسان

لما بايع اهل مراكش أبا فارس بن المنصور عزم زيدان على النهوض اليه فخرج من فاس يؤم بلاد الحوز ، واتصل الخبر بابى فارس فجهز لقتاله جيشا كثيفا وامر عليهم ولده عبد الملك الى نظر الباشا جؤذر، فقيل له : ان زيدان رجل شجاع عارف بمكايد الحرب وخدعه وولدك عبد الملك لا يقدر على مقاومته فلو سرحت أخاك الشيخ لقتاله كان اقرب للرأى لان أهل الغرب لا يقاتلونه لانه كان خليفة عليهم مدة فهم آنس به من زيدان ، فأطلق أبو فارس اخاه المأمون من ثقاف السجن واخذ عليه العهود والمواثيق على النصح والطاعة وعدم شق العصا ، ثم سرحه في ستمائة من جيش المتفرقة الذين كان المنصور جمعهم ليبعث بهم الى كاغو من أعمال السودان ، وقال له ولاصحابه : « جدوا السير الليلة كى تصبحوا بمحلة جؤذر على وادى ام الربيع » فلما انتهى الشيخ الى المحلة المذكورة وعلم الناس به اسرعوا اليه واستبشروا بمقدمه . ثم كانت الملاقاة بينه وبين السلطان زيدان بموضع يقال له : حواتة عند ام الربيع ففر عن زيدان أكثر

جيشه الى المأمون وحنوا الى سالف عهده وقديم صحبته ، فانهزم زيــدان لذلك ورجع ادراجه الى فاس فتحصن بهـا

وكان ابو فارس قد تقدم الى اصحابه في القبض على الشيــخ مــتى وقعت الهزيمة على زيدان فلما فر زيدان انعزل الشيخ فيمن انضم اليه من جيش أهل الغرب وامتنع على اصحاب ابى فارس فلم يقدروا منه على شيء، وانتعش امره واشتدت شوكته ثم سار الى فاس يقفو أثـر السلطان زيدان

ولما اتصل بزيدان خبر مجيئه اليه راود أهل فاس على القيـام معــه في الحصار والذب عنه والوفاء بطاعته التي هي مقتضى بيعتهم التي أعطوا بها صفقتهم عن رضى منهم ، فامتنعوا عليه وقلبوا له ظهـر المجن وأعلنوا بنصـر الشيخ وبيعته لقديم صحبتهم له . ولما ايس زيدان من نصرهم وقد ارهقـــه الشيخ في جموعه خرج من فاس بحشمه وثقله ناجيا بنفسه ، وتبعه جمع عظيم من اصحاب الشيخ فلم يقدروا منه على شيء ، وذهب الى تلمسان فأقـام بها الى ان كان من امره ما نذكره

واما الشيخ فانه لما وصل الى فاس تلقاه اهلها ذكورا واناثـا واظهروا الفرح بمقدمه فدخلها ودعا لنفسه فاجيب واستبد بملكها ، ثم أمـر جيش أهل مراكش ان يرجعوا الى بلادهم فانقلبوا الى صاحبهم مخفقين

وكان الشيخ لما تم غرضه من الاستبداد بالامر والانفراد بالسلطنـــة دعا بالشيخين الفقيهين قاضي الجماعة أبي القاسم بن ابي النعيم ، ومفتيهـا أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار فلامهما على مبايعة زيدان وقولهما فيـه وفي أخيه ابي فارس : «ان اولاد الاماء لا يتقدمون في الامــر على اولاد الحرائر . » وكان ابو فارس والشيخ ولدي امة اسمها : الخيزران كما مر ، وزيدان امه حرة من الشبانات ، وعزم ان ينكل بهما ثم بعث بهما مع جيش مراكش الى أخيه ابي فارس ليرى فيهما رأيه فاما الشيخ القصـار فتوفـي رحمه الله على مقربة من مراكش بزاوية الشيخ ابن ساسي وحمـــل الى مراكش فدفن بقبة القاضي عياض وذلك في اواسط سنة اثنـــتى عشـرة والف ؟ وأما القاضي ابو القاسم فاجتمع بأبي فارس فقبل عذره وصفح عنـــه

ورده مكرما الى فاس هكذا ذكره بعضهم* وقيـــل : ان الذي بعث بالشيخ القصاد الى مراكش هو السلطان زيدان على وجه يخالف هذا والله أعلم ؟

نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبي فارس واستيلاؤه على مراكش

ثم ان الشيخ المتغلب على فاس دعا بتجار اهلها فاستسلف منهم مـــالا كثيرا واظهر من الظلم وسوء السيرة وخبث السريرة ما هو شهير بـــه ، ثم تتبع قواد ابيه فنهب ذخائرهم واستصفى اموالهم وعذب من اخفى مـن ذلك شيئا منهم ، ثم جهز جيشا لقتال اخيه أبي فارس بمراكش ، وكـــان عدد الجيش نحو الثمانية آلاف ، وامر عليه ولده عبـــد الله فسار بجيوشه فوجد ابا فارس بمحلته في موضع يقال له : اكلميم ، ويقال : في مـرس الرماد فوقعت الهزيمة على ابى فارس وقتل نحو المائة من اصحابـه ونهبت محلته ، وفر هو بنفسه الى سقيوة ، ودخل عبد الله بن الشيـخ مراكش فأباحها لجيشه فنهبت دورها واستبيحت محارمها واشتغل هو بالفساد ومـن يشابه أباه فما ظلم ، حتى حكى انه زنى بجوارى جده المنصـور واستمتع بحظاياه ، واكل رمضان وشرب الخمر فيه جهارا وعكف على اللذات والقى جلباب الحياء عن وجهه ، وكان دخوله مراكش في العشرين من شعـبان سنة خمس عشرة وألف*

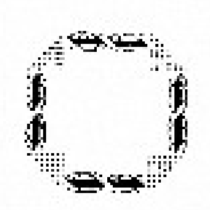
(*) وكانت عاقبة أمره القتل كما سيذكره المؤلف

(*) ثم فر منها الى السوس فأقام عند حاجب ابيه عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي كما سيذكره المؤلف

٨

مجيء السلطان زيدان الى المغرب واستيلاؤه على مراكش
وطـرده عبد الله بن الشيخ عنهـا

كان السلطان زيدان لما فر من فاس الى تلمسان كما مر أقام بها مدة وكان قد بعث الى ترك الجزائر يستمدهم ويستعديهم على اخويه فابطـأوا عليه وطال عليه انتظارهم ، فلما يئس منهم توجه الى سجلماسة فدخلها من غير قتال ولا محاربة ، ثم انتقل عنها الى درعة ومنها الى السوس ، فكتب اليه أهل مراكش ، وقد ندموا على ما فرطوا فيه من امره والدخول فـي طاعته ، أن يأتيهم ولو وحده ، فتوجه اليهم ودخل عليهم ليلا فلم يفجـأ عبد الله بن الشيخ الا نداء أهل مراكش بنصر السلطان زيدان وتحزبـوا معه وتقدموا الى قائدهم عبد الله اعراس الذى ولاه عليهم الشيخ فقتلوه ، وخرج عبد الله فارا بجموعه من اهـل فاس والغـرب ، فحاصرهم أهـل مراكش بين الاسوار والجنات ، وقتلوا من اصحاب عبد الله بموضع يعرف بجنان بكار نحو الخمسة آلاف وخمسمائة ، وامر زيدان بقتل كـل مـن تخلف عن عبد الله من جيشه ، فاتى القتل على جميـع مـن وجد بمراكش من جيش اهل فاس ، وذلك فى اواخر سنة خمس عشرة والف ، وفر عبد الله بن الشيخ ناجيا بنفسه حتى قدم على ابيه بفاس فى اسوأ الحالات ، مفلول العساكر مهزوم الجموع معاضا عن جيش النصر بجيش الدموع



عود عبد الله بن الشيخ الى مراكش واستيلاؤه عليها وطرده زيدان عنها

لما قدم عبد الله بن الشيخ على ابيه بفاس سليبا مهزوما قامت قيامته ورأى ان يهيىء عسكرا آخر ويجدد جمعا ثانيا فلم يجد لذلك طاقة لفراغ يده من المال وقلة جبايته ، واستحيى ان يستسلف من التجار لانه كان استسلف منهم فلم يرد لهم شيئا . ولما اعيته الحيلة رجع على قواده فقلب لهم ظهر المجن ونهب اموالهم واستلب ذخائرهم وصار يفرقها على التجار ، فاجتمع له من ذلك اموال عريضة فرقها في جيشه ، وتهيأ عبد الله للمسير الى مراكش ، وكان أهل فاس قد غضبوا لمن قتل من اخوانهم بها ونادوا بأخذ ثارهم حتى ان بعضهم خرج مع عبد الله من غير أخذ مرتب ولا جامكية ، فخرج عبد الله بجموع عديدة وجيوش حفيلة ، ولما بلغ خبره السلطان زيدان بعث اليه العلج مصطفى باشا في جيوش كثيرة . قال في شرح « زهرة الشماريخ » : كان بعث مصطفى باشا وخروجه من مراكش في شعبان سنة ست عشرة والف ، فالتقى الجمعان بموضع يقال له تافلفلت(*) على طريق سلا فهزم مصطفى باشا وقتل من جيش مراكش نحو التسعة آلاف وبعث الشيخ جماعة من عدول فاس الى موضع المعركة حتى أحصوا القتلى ، ثم توجه عبد الله الى مراكش فبرز اليه أهلها في ستة وثلاثين ألف مقاتل والتقى الجمعان بموضع يقال له : رأس العين ، فانهزم أهل مراكش ، وتقدم عبد الله بن الشيخ فاقتحمها بجيشه ، وفر زيدان الى المعاقل المنيعة والجبال الشامخة فبقي متنقلا هنالك الى أن كان من أمره ما نذكره

(*) هي المعروفة بتيفلت اليوم بأرض زمور

ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ وانقراض أمره وعود زيدان الى مراكش

لما دخل عبد الله بن الشيخ مراكش واستولى عليها فعل فيها أعظم من فعله الاولى ، وهربت شرذمة من أهل مراكش الى جبل جيليز واجتمع هنالك منهم عصابة من أهل النجدة والحمية واتفق رأيهم على ان يقدموا للخلافة محمد بن عبد المومن ابن السلطان محمد الشيخ ، وكان رجلا خيرا دينا صينا وقورا فبايعه أهل مراكش هنالك ، والتفوا عليه ، فخرج عبد الله بن الشيخ لقتال من بجبل جيليز والقبض على أميرهم المذكور .
ولما التقى الجمعان انهزم عبد الله وولى أصحابه الادبار فخرج من مراكش مهزوما سادس شوال سنة ست عشرة وألف ، وترك محلته واثقاله وعدته وجل الجيش ، واخذ على طريق تامسنا وامتحن اصحابه في ذهابهم حتى كان مد القمح عندهم بثلاثين أوقية والخبزة من نصف رطل بربع مثقال ، ولم يزل أصحابه ينهبون ما مروا عليه من الخيام والعمود ويسبون البنات الى أن وصلوا الى فاس في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة،

وأما محمد بن عبد المومن فانه لما دخل مراكش واستولى عليها صفح عن الذين تخلفوا بها من أهل الغرب من جيش عبد الله بن الشيخ ، وأعطاهم الراتب فلم يعجب ذلك أهل مراكش ، ونقموا عليه ابقاءه عليهم ، وكانوا نحو الالف ونصف ، فكتبوا سرا الى السلطان زيدان بالجبل فاتاهم وخيم نازلا بظاهر البلد ، فخرج محمد بن عبد المومن الى لقائه فانهزم ابن عبد المومن ودخل السلطان زيدان مراكش واستولى عليها وصفح هو ايضا عن الفئة المتخلفة عن عبد الله بن الشيخ . وذكر فى شرح «زهرة الشماريخ» : ان هذا الثائر بجبل جيليز اسمه أبو حسون من أولاد السلطان ابى العباس الاعرج والله أعلم ، ولعل هذا الصواب بدليل ما يأتي في رسالة زيدان ان شاء الله

١١

خروج جالية الاندلس من غرناطة وأعمالها الى بلاد المغرب وغيرها

قد قدمنا ما كان من استيلاء الطاغية صاحب قشتالة على غرناطة واعمالها سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وان أهل غرناطة التزموا طاعته والبقاء تحت حكمه على شروط اشترطوها عليه قد ذكرنا بعضها فيما سلف ، وان عدو الدين قد نقض تلك الشروط عروة عروة ، وكان أهل الاندلس من أجل ذلك كثيرا ما يهاجرون من بلاد الكفر الى بلاد الاسلام أثناء هذه المدة السالفة ، غير أن عامتهم كانوا قد تخلقوا بأخلاق العجم وأثر فيهم ذلك اثرا ظاهرا لطول صحبتهم لهم ونشأة أعقابهم بين أظهرهم ، فكانت تصدر منهم في بعض الاحيان مقالات قبيحة في حق ولاة المسلمين من أهل المغرب وعامتهم ، لا سيما اذا نالهم منهم بعض الظلم ، ولقد رأيت في كتاب « المعيار » وغيره : سؤالات وفتاوى صدرت من علماء المغرب في حق هؤلاء الصنف منهم ، وكان الملوك السعديون قد جمعوا منهم جندا كبيرا ، وبهم فتح المنصور اقليم السودان ، واستمر الحال على ذلك الى أن كانت سنة ست عشرة وألف فهاجر جميع من لم يتنصر منهم الى بلاد المغرب وغيرها .

قال في « نفح الطيب » : كان النصارى بالاندلس قد شددوا على المسلمين بها في التنصر حتى أنهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغير فضلا عن غيرها من الحديد ، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم أعوام سبعة عشرة وألف ، فخرجت ألوف بفاس ، وألوف أخر بتلمسان ، ووهران ، وخرج جمهورهم بتونس ، فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم ، وهكذا كان ببلاد تلمسان وفاس ، ونجا القليل منهم من هذه المضرة . وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد قد عمروا قراها الخالية وبلادها . اهـ

وقال صاحب «الخلاصة النقية في امراء افريقية» ما نصه : « وفي سنة ست عشرة وألف قدمت الامم الجالية من جزيرة الاندلس فاوسع لهم صاحب تونس عثمان داي كنفه وأباح لهم بناء القرى في مملكته فبنوا نحو العشرين قرية واغتبط بهم أهل الحضرة وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفهم » اه ثم قال في «نفح الطيب» : « وكذلك خرج طوائف منهم بتطاوين وسلا والجزائر ، ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن ، وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور ، وهم الآن بهذا الحال ، ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام » اه كلام نفح الطيب ، وقوله : وحصنوا قلعة سلا يعني بها رباط الفتح اذ هي يومئذ مضافة الى سلا ومعدودة منها . والله تعالى اعلم

استيلاء السلطان زيدان على فاس وفرار الشيخ بن المنصور عنها الى العرائش ثم الى طاغية الاصبنيول

كان الشيخ بن المنصور عفا الله عنه على ما تقدم من قبح السيرة والاساءة الى الخاصة والعامة حتى ملته النفوس ورفضته القلوب وضاق أهل فاس بشؤمه ذرعا ، وكان قد بعث ابنه عبد الله مرة ثالثة الى حرب السلطان زيدان بمراكش وأعمالها فخرج عبد الله من فاس آخر ذي الحجة سنة ست عشرة وألف فالتقى الجمعان بوادي بوركراك فكانت الهزيمة على عبد الله وفر في رهط من اصحابه وترك محلته بما فيها بيد السلطان زيدان ، فاستولى عليها ، وانضم اليه جيش عبد الله من أهل فاس وغيرهم ميلا اليه ورغبة في صحبته . فعفا عنهم وتألفهم : واستفحل أمر السلطان زيدان وتكلم به أهل فاس وسائر بلاد الغرب ، واتصل الخبر بالشيخ وعرف أن قلوب الناس عليه فخاف الفضيحة وأصبح غاديا في أهله وحشمه الى ناحية

العرائش ، فاحتل بالقصر الكبير وهناك لحق به ابنه عبد الله مهزوما من وقعة بوركراك ، وانضم اليهما أبو فارس بن المنصور ، فانه بعد فراره من مرس الرماد الى مسفيوة أقام بها مدة . ولما استوى السلطان زيدان على مراكش كما مر شدد في طلبه ففر الى السوس ، ولما أعيت عليه المذاهب وزيدان في طلبه لحق بشقيقه الشيخ فكان معه الى هذا التاريخ

ثم ان السلطان زيدان بعث كبير جيشه مصطفى باشا الى فاس فانتهى اليها ونزل مخيما بظهر الزاوية ، ووجد لاصحاب الشيخ زروعا كثيرة فارسل مصطفى باشا عليها جيشه فانتسفوها ، ودخلت فاس في طاعته ثم نهض الى ناحية القصر الكبير ناويا القبض على الشيخ وحزبه ، واتصل بالشيخ خبره ففر الى العرائش ، ومنها ركب البحر الى طاغية الاصبنيول مستصرخا به على السلطان زيدان ، وحمل معه أمه الخيزران وبعض عياله وجماعة من قواده وبطانته ، وذلك في ذي القعدة سنة سبع عشرة والف

وانتهى مصطفى باشا الى القصر الكبير فقبض على من وجد به من أصحاب الشيخ وفر عبد الله وابو فارس فنزلا بموضع يقال له : سطيح بني وارتين ، فبلغ خبرهما الى السلطان زيدان ، فجاء حتى نزل قبالتهما بموضع يقال له : آرووات ، ففر من كان معهما الى السلطان زيدان ، ولما بقيا أوحش من وتد بقاع فرا الى دار اليهودي ابن مشعل من بلاد بني يزناسن فأقاما بها

واختصر صاحب « المرآة » هذا الخبر فقال : كان السلطان ابو المعالي زيدان بن المنصور التقى مع ابن اخيه عبد الله بن الشيخ صاحب فاس برؤوس الشعاب يوم الخميس السابع والعشرين من شوال سنة سبع عشرة وألف فانهزم عبد الله بن الشيخ وفر الى محلة ابيه بالعرائش ، ثم رجع الى جهة فاس ، وانتهى الى دار ابن مشعل واستولى عمه السلطان زيدان على محلته وسار الى فاس فدخلها وأقام بها . اه

وفي دخلة السلطان زيدان هذه الى فاس قبض على الفقيه القاضي أبي الحسن علي بن عمران السلاسي رحمه الله قال اليفرني في

« الصفوة » : كان القاضي المذكور ممن أخذ عن الشيخ القصار وكان مع ذلك لما ولي القصار الفتوى والخطابة بجامع القرويين يسعى عند السلطان في تأخيره حتى أخر، وولي هو مكانه مدة يسيرة ثم اعيد القصار، وكانت بينهما شحناء عظيمة بسبب فتوى تنازعا فيها ، ثم أفضت الحال بالقاضي أبي الحسن الى أن قبض عليه السلطان زيدان بسبب أنـه عثر لـه على كتاب كتبه الى بعض اخوته ينتقصه فيه ويوهن أمره ، فأوغر ذلك قلب السلطان علـيـه فسطا به وسجنه ونهب داره واثاثه ثم سقاه سما ، على ما قيل ، فكان فيه حتفه ، وقد حكى هذا الخبر في موضع آخر من « الصفوة » مطولا فقال: كان القاضي أبـو الحسن علي بن عمران السلاسي شديد الانحراف عن الشيخ العارف بالله أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي سيء الاعتقاد فيه ، ولم يزل يسعى به ويكيده ، فاتفـق ان اجتمع بالشيـخ في بعض الليالي بعض من يتعاطى العلم فتكلموا في مسائل من صفات الله فنقل كلام الشيخ الى القاضي على غير وجهه فانكر ذلك ، وركب مـن حينـه الـى السلطان زيدان ، وهو يومئذ بفاس ، منتهزا للفرصة فقال : «ان ههنا رجلا يعلم الناس البدع ويلقنهم آراء الفرق الضالة » فقال له السلطان :«من هؤلاء» قال : «فلان » قال : «أخو سيدي يوسف» ؟ قال : «نعم» قال : «سمعنا انه أعلم من اخيه » ثم بعث السلطان اليه ، وهو مستشيط غضبا لخبر بلغه مـن ثورة بعض أقاربه عليه فجاء الشيخ ابو زيد ولم يخلع نعلـه حتى بلـغ بساط السلطان ، فسلم عليه ومد يده فصافحه ، ثم تكلمـوا في المسألـة فانقطع القاضي ولم يجد ما يقول ، الا ان الناقل لم يحسن نقلها، فقـال لـه الشيخ : «فهلا تثبت !» وكان بعض علماء مراكش حاضرا فبالغ في عتـاب القاضي ، وقيل للشيخ : «ما سبب الوحشة بينـك وبين هؤلاء ؟» فقـال : « لا شيء الا الاستغناء عنهم » فقالوا : « ياسيدي هذا وصف يوجب الحب » فما انفصل الشيخ عن السلطان حتى اطلع على ما يوجب القبض على القاضي فقبض عليه ونهب داره في الحين ، فنزل الشيخ مـن فاس الجديد فلـقي اثاث القاضي في الطريق جيء به منهوبا ، وبقي في السجن الى أن مات

مسموما رحمه الله . وكان الاديب الكاتب أبو عبد الله المكلاتي قد كتب اليه بابيات يقول فيها ما نصه :

أما لهلال غاب عنا سفور	فيجلى به خطب دجاه تشور
تصبرا لدهر رام بمحبك الاسى	فانت عظيم والعظيم صبور
سيظهر ما عهدته من جمالكم	فللبدر من بعد الكسوف ظهور
وتحيى رسوم للمعالى تغيرت	فللميت من بعد الممات نشور
أبا حسن انى على الحب لم أزل	مقيما عليه ما أقام ثبير
ففى الفم ماء من بقايا ودادكم	وذلك عندى سائغ ونمير
عليكم سلام الله ما هطل الحيا	وغنت باغصان الرياض طيور

قال منشئها : وقد انشدتها بين يديه بمحبسه فبكى حتى ظننت أنه سيهلك ثم افاق وقال : «لله الامر من قبل ومن بعده» فراجعنى رضى الله عنه بابيات يقول فيها :

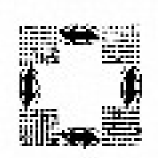
تفتق عن زهر الربيع سطور	فما هي الا روضة وغدير
هزمت من الصدر الجريح همومه	فانت على جند الكلام امير
محمد هل فى العصر غيرك شاعر	له معكم فى الخافقين ظهور
فانى على صفو الوداد وانني	سأشدو وقلبى بالهموم كسير
متى وعسى يثنى الزمان عنانه	بنهضة جد والزمان عثور
فتدرك آمال وتقضى مآرب	وتحدث من بعد الامور أمور
عليك سلام الله منى فاننى	غريب باقصى المغربين أسير

وكانت وفاة القاضى المذكور رحمه الله في جامع المشور فى مهل ربيع الثانى سنة ثمان عشرة والف

١٦

عود عبد الله بن الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها
ومقتل مصطفى باشا رحمه الله

لما دخل السلطان زيدان حضرة فاس واستولى عليها أقام بها الى أن دخلت سنة ثمان عشرة وألف فاتصل به خبر قيام بعض الثوار عليه بناحية مراكش فنهض اليها مزعجا ، واستخلف على فاس مولاه مصطفى باشا ، ولما اتصل خبر نهوضه بعبد الله بن الشيخ ، وهو بدار ابن مشعل، زحف الى فاس فيمن انضم اليه فبرز اليه مصطفى باشا وضرب محلته بظاهر فاس من ناحية باب الفتوح قال في « المرآة » : وعرض لابي الحسن على بن يوسف الاندلسي المعروف بالبيطار غرض من أمور العامة كان يتردد فيه الى المحلة فركب اليها يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف فالتقى الجمعان يومئذ بين الظهرين فانجلت الحرب عن مقتل مصطفى باشا ، وفقد ابو الحسن بن البيطار . وقال في «النزهة» : لما رحل زيدان الى مراكش بسبب ما بلغه من قيام بعض الثوار عليه ،هنالك قدم عبدالله بن الشيخ وعمه أبو فارس الى فاس فخرج مصطفى باشا لمقاتلتهما فعثر به فرسه وقتل وأخذت محلته باسرها ،وهلك ما لا يحصى من الناس ووقع النهب حتى انتهب من البقر التي تحلب نحو ستة آلاف ، ودخل عبد الله بن الشيخ فاسا مع عمه ابى فارس وذلك سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف .



تلخيص خبر أبي فارس ومقتله رحمه الله تعالى

تقدم لنا أن أبا فارس بن المنصور بويع بمراكش وبعث أخاه الشيخ لقتال السلطان زيدان فنكث الشيخ عهده واستبد عليه ، ثم بعث اليه ابنه عبد الله فهزمه الى مسفيوة ثم فر منها الى السوس ، فأقام عند حاجب أبيه عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي ، ثم لما بالغ زيدان في طلبه فر الى اخيه الشيخ فلم يزل مع ابنه عبد الله بن الشيخ الى أن قتل مصطفى باشا ودخل عبد الله فاسا فاستولى عليها كما ذكرناه آنفا فاتفق رأى قواد شراكة على قتل عبد الله وتولية عمه أبي فارس ، فبلغ ذلك عبد الله فدخل على عمه أبي فارس ليلا مع حاجبه حمو بن عمر فوجده على سجادته وجواريه حوله فاخرجهن وأمر بعمه فخنق وهو يضرب برجليه الى أن مات وذلك في جمدى الاولى سنة ثمان عشرة والف ، هذا هو الصواب لا ما في « نشر المثاني » على اضطرابه فأسف الناس عليه لانه كان يرده عن المناكر ويزجره عن كثير من القبائح ، وذكر في « المنتقى » أبياتا من انشاء الكاتب أبي محمد عبد القادر بن أحمد بن القاسم الفشتالي مما كتب تطريزا على نجاد الواثق بالله أبي فارس المذكور وهي :

أتيه وأزرى بكل نجاد ... يروق على حلة اللابس
اذا كنت يوم الوغى محملا ... لعضب حكى شعلة القابس
على عاتق الملك المرتضى ... سليل الوصي أبي فارس

١٨

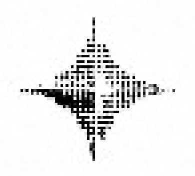
عود السلطان زيدان الى فاس واستيلاؤه عليها

ثم اعراضه عنها سائر ايامه

لما سمع السلطان زيدان ، وهو بمراكش ، بمقتل مصطفى باشا نهض الى فاس وجاء على طريق الجبل وكان نصارى الاصبنيول يومئذ قد نزلوا على العرائش وحاولوا الاستيلاء عليها وذلك باذن الشيخ كما سيأتي . وكان عبد الله بن الشيخ بفاس فسمع بنزول النصارى على العرائش فاستنفر الناس وحضهم على الجهاد فتهيأوا لذلك وعزموا على النهوض اليها فما راعهم الا السلطان زيدان قد اقبل من ناحية ادخسان ، وقد أنزل بها محلته ، وتقدم الى جهة فاس وضرب بأفاضه فانهزم الناس عن عبد الله ودخل شراكة فاسا فبعث زيدان قائده عبد الصمد لتسكين روعة أهل البلد وامر المنادى ان ينادي بنصره ، فنزل المنادي الى ان بلغ باب السلسلة فقام في وجهه بعض الشباب من أهل العدوة وضربه فجرحه ورجع المنادى وبطل الامر فبلغ الخبر السلطان زيدان فأمر باطلاق السيل في أهل فاس وتحكيم السيف فيهم ثم ندم فامنهم وسكن روعتهم ، ونزل زيدان بوادي فاس فخرج الناس للقائه ، وهو غضبان عليهم ، وقد استولى على فاس وتمكن منها ، فاخذ يسب اعيانهم وهم بقتلهم ولكن الله سلم

ثم ان العرب اجتمعوا عند قنطرة المهدومة في نحو ثمانية آلاف فخرج اليهم زيدان ومعه عرب الشرق فانهزموا عنه ولم يبق معه الا رهط يسير فرأى زيدان امامه خيلا قليلة فقصدها فاذا فيها عبد الله بن الشيخ وقد رأى زيدان مقبلا اليه ففر ، مع ان زيدان انما قصد الفرار اليه من غير علم له به فاستتب أمر زيدان وتراجع اليه أصحابه ، ومن الغد رجع الى فاس فخرج اليه اهل فاس يهنئونه كبارا وصغارا فاتهمهم بانهم يستهزئون به فأمر بهم فسلبوا رجالا ونساء فكان بعضهم ينظر الى عورة بعض ، وكان عدد السلب نحو عشرة آلاف كسوة ودخل أصحاب زيدان

فاسا فهبوها وفعلوا فيها الافاعيل ، ثم امر زيدان بتسكين الروعة والامان وكان ذلك كله سادس رجب سنة تسع عشرة والف ، فلما كان اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور نزل عبد الله بن الشيخ برأس الماء فخرج اليه زيدان واقتتلوا فانهزم زيدان وقتل من اصحابه نحو الخمسمائة ، وفر الى محلته التي ترك بادخسان ، وكان ذلك آخر رجوع زيدان الى فاس فانه لما اعياه امر الغرب أعرض عنه وصرف عنايته الى ضبط ما خلف وادي ام الربيع الى مراكش واعمالها ، وتوارث بنوه سلطنته على ذلك النحو من بعده، وبقي عبد الله بن الشيخ يقطع الايام بفاس الى أن هلك ، وقسام بأمر فاس من بعده ثوارها وسيابها على ما نذكر . وفي كتاب « ابتهاج القلوب في أخبار الشيخ المجذوب » ما صورته : « تكلم الشيخ سيدي كدار يوما في ملوك وقته فقال : «اما الشيخ معطي العرائش ، فان اهل الله قد دقوا أوتاده هنالك حتى يموت » فلم يتجاوز محله الى ان قتل به حوز تطاوين كما سياتي ، واما زيدان فانه لما اطلق السبيل في أهل فاس ضربه مولاي ادريس بركلة صيرته وراء ام الربيع فلم يتجاوزه بعد ذلك » اه



استيلاء نصارى الاصبنيول على العرائش والسبب في ذلك

قد تقدم لنا ما كان من خبر الشيخ المأمون من انه فر الى العرائش ومنها ركب البحر الى طاغية الاصبنيول مستصرخا به على اخيه السلطان زيدان فابى الطاغية ان يمده ، فراوده الشيخ على ان يترك عنده اولاده وحشمه رهنا ويعينه بالمال والرجال حتى اذا ملك أمره بذل له ما شارطه عليه ولم يزل به الى ان شرط عليه الطاغية ان يخلى له العرائش من المسلمين ويملكه اياها فقبل الشيخ ذلك والتزمه ، وخرج حتى نزل حجر باديس في ذي الحجة سنة ثمان عشرة والف ثم تقدم فنزل ببلاد الريف

ولما سمع ذلك اهل فاس خافوا من شوكته وذهب جمع من علمائهم واعيانهم كالقاضي أبي القاسم بن ابي النعيم ، والشريف أبي اسحاق ابراهيم الصقلي الحسيني وغيرهما للاقاته وتهنئته بالقدوم ، فلما وصلوا اليه فرح بهم وامر قبطان النصارى ان يخرج مدافعه وانفاضه ارهابا واظهارا لقوة النصارى الذين استنصر بهم ففعل حتى اصطكت الآذان وارتجت الجبال ، ونزل القبطان من السفينة للسلام على الاعيان فلما رأوه مقبلا امرهم الشيخ بالقيام له فقاموا اليه اجمعون ، وجازوه خيرا على ما فعل مع الشيخ من الاحسان والنصرة ، وسلم هو عليهم بنزع قلنسوته على عادة النصارى ، وانكر الناس على اولئك الاعيان قيامهم الكافر ، وضربوا بعصى الذل حتى انهم في رجوعهم الى فاس تعرض لهم عرب الحياينة فسلبوهم واخذوا ما معهم وجردوهم من ملابسهم جميعا ما عدا القاضي ابن ابي النعيم فانه عرف بزي القضاء فاحترموه

ثم ان الشيخ انتقل الى القصر الكبير وهو قصر كتامة وقصر عبد الكريم فاقام بهمدة وراود قواده ورؤساء جيشه ان يتفقوا معه في تمكين النصارى من العرائش ليفي له الطاغية بما وعده من النصرة فامتنع الناس من اسعافه

في ذلك ولم يوافقه على غرضه الا قائده الكرتي فانه ساعده على ذلك فبعثه الشيخ اليها وامره ان يخليها ولا يدع بهـــا احدا مـــن المسلمين ، فذهب الكرتي المذكور وكلم اهلها في ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها فقتل منهم جماعة وخرج الباقون وهم يبكون تخفق على رؤوسهم الوية الصغار

ولما خرج منها المسلمون أقام بها القائد الكرتي الى ان دخلها النصارى واستولوا عليها في رابع رمضان سنة تسع عشرة والف ، ووقع في قلـوب المسلمين من الامتعاض لاخذ العرائش امر عظيم ، وانكروا ذلــك أشـد الانكار ، وقام الشريف ابو العباس احمد بن ادريس العمراني ودار عـلى مجالس العلم بفاس ونادى بالجهاد والخروج لاغاثـة المسلمين بالعرائش ، فانضاف اليه اقوام وعزموا على التوجه لذلك ففت في عضدهم قائدهم حمـو المعروف بابي دبيرة ، وصرف وجوههم عما قصدوه في حكاية طويلـة

وكان الشيخ لما خاف الفضيحة وانكار الخاصة والعامة عليه اعطاءه بلدا من بلاد الاسلام للكفار احتال في ذلك وكتب سؤالا الى علماء فاس وغيرها يذكر لهم فيه أنه لما وغل في بلاد العدو الكافر واقتحمها كرهـا باولاده وحشمه منعه النصارى من الخروج من بلادهم حتى يعطيهم ثغر العرائش ، وانهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك لهم اولاده رهنا على ذلــك ، فهـل يجوز له ان يفدي اولاده من أيدي الكفار بهذا الثغر ام لا* ؟ فأجابـــوه بان فداء المسلمين سيما اولاد أمير المؤمنين سيما اولاد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من يد العدو الكافر باعطاء بلد من بلاد الاسلام لـه جائـــز

(*) كان ممن أفتى بالجواز الفقيه محمد بن قاسم ابن القاضي وقتلته العامة بالقرويين عند العشاء يوم الاثنين ٢١ حجة عام ١١٤٠ وسبب قتله ما اتهم به من موافقته على تمكين النصارى من ثغر العرائش اذ كان حضر مع من استدعى محمد الشيخ من العلماء لاجل ذلك فتعلق باغراض فاسدة وامور واهية لم يقبلها احد هـ قاله صاحب النشر ج ١ ص ١٥٦ وقد تأخر قتله عن الحادثة بسنين لان المأمون قتل سنة ١٠٢٢ ويظهر ان العامة كانت تحقد عليه فعله وانتهزت فرصة الفتن التي توالت بعد ذلك بفاس فانتقمت منه والله اعلم

وانا موافقون على ذلك . ووقع هذا الاستفتاء بعد ان وقع ما وقع،وما اجاب من أجاب من العلماء عن ذلك الا خوفا على نفسه . وقد فر جماعة من تلك الفتوى كالامام ابي عبد الله محمد الجنان صاحب الطرر على المختصر ، وكالامام ابى العباس أحمد المقرى مؤلف «نفح الطيب» فاختفيا مدة استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما ، وبسبب هذه الفتوى ايضا فر جماعة من علماء فاس الى البادية كالشيخ أبى على الحسن الزياتي شارح جمل ابن المجراد ، والحافظ ابى العباس أحمد بن يوسف الفاسي وغيرهما *

بقية اخبار الشيخ ومقتله رحمه الله وتجاوز عنه

ثم ان الشيخ ابن المنصور نزل بالفحص واجتمعت عليه لمة من أهل الدعارة والفساد على شاكلته فنهض بهم الى تطاوين فاستولى عليها واخرج منها كبيرها المقدم المجاهد ابا العباس احمد النقسيس ، ولم يزل الشيخ يجول فى بلاد الفحص ويعسف اهلها الى ان ملته القلوب وتمالأ اشياخ الفحص على قتله لما رأوا من انحلال عقيدته ورقة ديانته ، وتمليكه ثغر الاسلام للكفار ، ففتك به المقدم ابو الليف فى وسط محلته بموضع يعرف بفج الفرس وبقى صريعا مكشوف العورة اياما حتى خرج جماعة من أهل تطاوين فحملوه مع من قتل معه من اصحابه كالدبريين وبعض اولاده ودفنوهم خارج تطاوين الى ان حمل الشيخ الى فاس الجديد مع امه الخيزران فدفنا به ، وكان مقتله خامس رجب سنة اثنتين وعشرين وألف

(*) وممن انكر على المأمون واغلظ له فى الملام الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابى الحسن المعروف بالحاج الاغصاوى البقال من اولاد الحاج البقال . فانفذ المأمون اعوانه واتوا به الى فاس فقتله بها ضربا سنة ١٠١٧ ودفن بالسياج وبنيت عليه قبة اه . قاله التمارتي فى تاريخه ج ٤ ص ٢٦٢ . وراجع ترجمته فى الشرح اول ص ١٠١ .

وقال منويل : انه وصل الى قرب تطاوين وبنى هنالك ابراكا وأقام ينتظر اجتماع الجيوش عليه ثم سكر ذات يوم على عادته وخرج الى عين ماء هنالك فاستلقى قربها فى نبات اخضر أعجبته خضرته فجاءه اناس من أهل تلك البلدة فعرفوه وشدخوا رأسه بصخرة فقتلوه . ويقال ان قتله كان باشارة الثائر ابى محلى الاتي ذكره وانه كتب الى المقدمين النقسيس وابى الليف يحضهما على قتله فقتلوه وانتهبوا ماله وكان شيئا كثيرا ، ومن جملة ما نهب منه نحو المد من الياقوت وبقى من اثاثه نحو وسق سفينة كان قد تركه بطنجة فاستولى عليه نصاراها من البرتقال لما قتل ، وكان للشيخ عفا الله عنه مشاركة فى العلم وبصر فى مبادىء الطب أخذ عن أشياخ الحضرتين وله شعر متقارب ، ومن كتابه الاديب المتفنن ابو العباس احمد ابن محمد القرديس التغلبى وكان من اهل الاجادة والتبريز فى صناعة الانشاء . قال الشيخ ابو محمد العربى الفاسى فى شرحه لدلائل الخيرات عند قوله « وكان لى جار نساخ » ما نصه : « وقد كان الشيخ الكاتب الرئيس ابو العباس أحمد القرديس شيخ كتاب الانشاء بحضرة فاس رحمه الله استعار منى كتاب الانباه فى شرح الاسماء للاقليشى ثم مرض مرض موته فعدته فوجدت الكتاب عند رأسه ومعه كراريس منسوخة والاخرى معدة للنسخ فقال لى : « انى اذا وجدت راحة كتبت منه ما قدرت عليه فاذا غلبنى ما بى امسكت » فقلت له : «ولم تتكلف هذا؟» فقال : «انى عصيت الله بهذه الاصابع ما لا احصيه فرجوت ان يكون ما اعانيه على هذه الحال من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملى وكفارة لذلك » فكمل الله قصده واتم الكتاب وتوفى من مرضه ذلك وقد طال به سنة عشرين والسف » اه ولهذا الكاتب يقول الشاعر :

تمتعت يا قرديس والدهر راقد وأنت بفاس وابن حيون واجد
بسعدك راحت خيزران لقربها ومصائب قوم عند قوم فوائد

رياسة ولى الله تعالى أبى عبد الله سيدى محمد العياشى على الجهاد ومبدأ امره فى ذلك

هذا الرجل هو ولى الله تعالى المجاهد فى سبيله ابو عبد الله محمد (فتحا) ابن احمد المالكى الزياتى المعروف بالعياشى ، ونسبته الى بنى مالك بسن زغبة الهلاليين ، وهم اليوم قبيلة من عرب الغرب ، كان رحمه الله مستوطنا مدينة سلا ، وكان من تلامذة الولى العارف بالله تعالى ابى محمد عبد الله ابن حسون السلاسى دفين سلا ،

وكان ابتداء امر أبى عبد الله انه كان ملازما لشيخه المذكور مـن أقرب التلامذة اليه واسرعهم الى خدمته واولهم دخولا عليه وآخرهم خروجا عنه وكان مع ذلك كثير الورع قليل الكلام مديما للصيام وقراءة القرآن فكان الشيخ ابن حسون ملتفتا اليه ، ولم يزل الامر على ذلك الى ان شاعت مناقب الشيخ وكثر غاشيه ، فاهدى له يوما بعض اشياخ القبائل فرسا فامر الشيخ باسراجه وقال : «اين محمد العياشى ؟» فقال : ها أنا ذا ياسيدى » فقال الشيخ : «اركب بحول الله فرسك ودنياك وآخرتك » فتقهقر تأدبا فحلف عليه ليركبن وحبس له الركاب بيده ، وقال له : « ارتحل عنى الى آزمور وانزل على اولاد ابى عزيز ولا بد لك من الرجوع الى هذه البلاد وسيكون لك شأن عظيم» فودعه ابو عبد الله ووضع الشيخ يده على رأسه وبكى ودعا له بخير ، فقصد ناحية آزمور ونزل حيث عين له شيخه المذكور ، وذلك لاول دولة السلطان زيدان سنة ثلاث عشرة والف ، فلم يزل ابو عبد الله العياشى مثابرا على الجهاد شديد الشكيمة على العدو عارفا بوجوه المكايد الحربية بطلا شهما مقداما فى مواطن الاحجام وقورا صموتا عن الكلام ، فطار بذلك فى البلاد صيته وشاع بين الناس ذكره لما هو عليه من التضييق على نصارى الجديدة ، وكانوا يومئذ

قد امر أمرهم ، ففرح بذلك قائد آزمور ، ولم يزل الامر على ذلــك الى أن توفي قائد الفحص والبلاد الآزمورية فسأل السلطان زيدان عمن يليق بتولية ذلك الثغر فقيل له : سيدى محمد العياشي ، فكتب اليه بالتولية فقبل ، ونهض باعباء ما حمل من ولاية الفحص وجهاده .

وكانت له مع نصارى الجديدة وقائع وضيق عليهم حتى منعهـم من الحرث والرعي فبعث النصارى الى حاشية السلطان زيدان بالتحف ونفائس الهدايا ليعزلوا عنهم ابا عبد الله المذكور لمضايقته لهم ، فخوفوا السلطـــان زيدان عاقبته وحضوه على عزله ، واظهروا له انه مسموع الكلمة في تلك النواحي ، وأنه يخشى على الدولة منه ، وكان ابو عبد الله العياشي كلمـا بعث بالغنائم وما يفتـــح الله به عليه مـــن الاسارى الى مراكش ازدادت شهرته وتناقل الناس حديثه ، فوغر بذلك قلب زيدان وحنق عليه ، فبعث اليه قائده محمد السنوسي في اربعمائة فارس وامره بالقبض عليه وقتله ، والقى الله في قلب القائد المذكور الشفقة عليه لما يعلم من براءته مما قذف به فبعث اليه خفية : ان انج بنفسك فانك مغدور ، فخـــرج أبو عبد الله العياشي في اربعين رجلا فرسانا ومشاة قاصدين سلا فاستقر بها سنة ثلاث وعشرين والف ولما انتهى السنوسي الى آزمور ولم يجد له أثرا أظهـــر العناية بالبحث عنه وعاقب شرذمة من أهل الفحص على افلاته تعمية علـى السلطان واقامة لعذره عنده،فقبل السلطان زيدان ذلك والله غالب على أمره .

ثورة الفقيه ابي العباس احمد بن عبد الله السجلماسي

المعروف با ابي محلي

قال في كتابه « اصليت الخريت » ما ملخصه : « كانت ولادتي سنة سبع وستين وتسعمائة بسجلماسة والذي تلقيته من ابي وكافة عمومتي ان اولاد ابي محلي من ذرية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، واما جدنا الاشهر المكنى بابي محلي بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة بعدها ياء تحتية ساكنة مع كبير شهرته لا علم لي الآن بسبب تكنيته بذلك ولا بتفاصيل أحواله بعد البحث عنه ، قال : وبخطة القضاء اشتهر سينا فنعرف باولاد القاضي وزاويتنا بزاوية القاضي ولم تزل بقية العلم في دورنا وخصوصا دار أبي(*) » اهـ

وقال صاحب « البستان » : ابو محلي هذا اسمه احمد بن عبد الله وينتسب الى بني العباس ويعرفون في سجلماسة باولاد ابن اليسع أهل زاوية القاضي ، انتهى . قلت : اما الانتساب الى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقد انكر ابن خلدون وجود النسبة العباسية في المغرب ، قال في فصل اختلاط الانساب وما بعده ما نصه : « ولم يعلم دخول أحد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ أول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعبيديين فكيف يسقط العباسي الى احد من شيعة العلويين » اهـ ثم قال ابو محلي في الكتاب المذكور : « فلما نشأت في حجر والدي بذل مجهوده في تعليمي ، وقد كانت امي رأت وهي حامل بي وليا من اولياء الله تعالى احد شيوخ التربية ببلدنا ، وهو الشيخ ابو الحسن علي بن عبد الله السجلماسي ، قد سقاها قدحا من لبن ، وأرجو الله صدق تأويلها بالعلم والدين وحق اليقين » قال : « وكان خروجي لطلب العلم بفاس في حدود

(*) انظر الرحلة العياشية ج. ١ ص. ١٩

الثمانين وتسعمائة ، وانا يومئذ مراهق او بالغ الحلم ، لا همة لي الا في العلم ، فاقمت بفاس نحو خمس ستين الى ان جاء النصارى الى وادى المخازن فدهش الناس ، واستشرت اخا من الطلبة فدلني على الخروج الى البادية حتى ينجلي نهار الامن ، فخرجت الى كريكرة فحفظت فيها الرسالة، وقد كنت ما حصلت بفاس الا النحو ، ثم رجعت الى فاس بعد ان زال الدهش بهزيمة النصارى وولاية المنصور ، والنحو صنعتي ، وفي الفقه رغبتي .

وقد كنت في الخرجة الاولى الى البادية زرت قبر الشيخ أبي يعزى رضي الله عنه فطلبت الله عنده أن أكون من الراسخين في العلوم بأسرها ، وتوبة يتقبلها فما دار على الحول الا وأنا بزاوية الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن مبارك الزعرى، لا عن قصد ، لكوني اذذاك مولعا بالعلم، أما طريق الفقر فلا تخطر لي ببال لان المعتمد يومئذ في فقراء الوقت اخلاق الضلال ، فكنت أشد الناس حذرا منهم الى أن انكشف الستر فرأيت ما رأيت ووعيت ، فصاحبت شيخي الذى لولاه مع فضل الله لهلكت، ولولا هدايته باذن الله لضللت ، أعني أبا عبد الله مولاي محمد بن مبارك الزعرى القبيل الجزارى النسيل وهو رضي الله عنه من قبيلة عرب بالمغرب يقال لهم زعير بصيغة التصغير والنسب اليها زعرى على التكبير ، وهي قبيلة من عرب السوس بالمغرب الاقصى » قال: « فبقيت في صحبة شيخي المذكور نحوا من ثمان عشرة سنة وما فارقته الا عن أمره اذ هو الذى وجهني الى بلدي سجلماسة من غير اختيار قائلا لي : « صلاحهم فيك » ، ثم ناولني عصاه وبرنسه ونعله من غير طلب مني لشيء من ذلك ، وجعل في رأسي قلنسوة كالخرقة بيده اليمنى عند الوداع ، فلما استوطنت بلدي عن اذنه زرته منه احدى عشرة مرة ، وفي الاخيرة منها وذلك بعد مقفلي من الحجة الاولى التي كانت سنة اثنتين بعد الالف دعالي بقوله : « بلاك الله أكثر مما بلاني » فناولتها باقبال الخلق كما ترى ، وقد صاح عندها صيحة عظيمة لم أر مثلها منه منذ صحبته ، اذ عادته كانت الطمأنينة ،

ولما توفي رحمه الله بقيت نحوا من ثلاث سنين عاطلا ، ثم تحلى النحـر بدرر لطائفه الموعود بها فله الحمد على ما أسدى وله الشكر فيما أولى .
ثم ذكر بقية أشياخه كالشيخ أبي العباس المجور ، والشيخ أبي العباس السوداني ، والشيخ سالم السنهوري وغيرهم ممن يطول ذكرهم ، قال : « ثم كملت الفائدة بعد المقفل من الحج فرجعت الى الديار المغربيـة ونزلت بوادي الساورة ثم تحولت بجميع عيالي الى الوادي المذكور » هذا ملخص أوليته منقولا من كتابه المذكـــور .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد التواتي رحمه الله تعالى في رسالته التي سماها « مقامة التحلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي » وهـــي رسالة طويلة مسجعة قال : « كان الفقيه أبو محلي في أول أمره فقيها صرفا ثم انتحل طريقة التصوف مدة حتى وقع على بعض الاحوال الربانية ولاحت له مخايل الولاية فانحشر الناس لزيارته أفواجا ، وقصدوه فرادى وأزواجا ، وبعد صيته وكثرت أتباعه » قال : « فلما سمعت بذلك ذهبت اليـــه وجلست عنده الـــى ان وجدته يشير الى نفسه بأنه المهدي المعلوم المبشر به في صحيح الاحاديث فتركته وراء ونبذته بالعراء » اه

وقال الشيخ اليوسي في « محاضراته » وقد تكلم على الدعوى الفاطميـة ما نصه : وممن ابتلي بها قريبا أحمد بن عبد الله بن ابي محلي السناوتي خاض في الطريق حتى حصل له نصيب من الذوق ، وألف فيها كتابا يدل على ذلك ثم نزغت به هذه النزعة فحدثونا انه كان في أول أمـره معاشرا لمحمد بن أبي بكر الدلائي ، وكان البلد اذ ذاك قد كثرت فيه المناكـر وشاعت فقال ابن أبي محلي لابن أبي بكر ذات ليلة هل لك في أن نخرج غدا الى الناس فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ؟ فلم يساعفه لمـا رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر ، فلما أصبحا خرجا ، فأما ابن ابي بكر فانطلق الى ناحية النهر فغسل ثيابه وأزال شعثه بالحلق وأقام صلاتـه وأوراده في أوقاتها ، وأما ابن أبي محلي فتقدم لما هم به من الحسبة فوقع في شر وخصام أداه الى فوات الصلاة عن الوقت ، ولم يحصل على طائل ،

فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر : « أما انا فقد قضيت ما ربي وحفظت ديني وانقلبت في سلامة وصفاء ومن أتى منكرا فالله حسيبه » أو نحو هذا من الكلام ، وأما أنت فانظر ما الذي وقمت فيه ، ثم لم ينته الى أن ذهب الى بلاد القبلة ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر وانه بصدد الجهاد فاستخف قلوب العوام واتبعوه » اهـ .

وصار ابن أبي محلي يكاتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان يأمرهم بالمعروف ويحضهم على الاستمساك بالسنة ، ويشيع أنه الفاطمي المنتظر ، وان من تبعه فهو الفائز ومن تخلف عنه فموبق ، وربما كان يقول لاصحابه محرضا لهم على نصرته : « أنتم أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لانكم قمتم بنصر الحق في زمن الباطل ، وهم قاموا به في زمن الحق» ونحو هذا من زخارف كلامه ، والى ذلك أشار الفقيه أبو زكريا يحيى ابن عبد المنعم الحاحي في بعض قصائده معرضا بأبي محلي المذكور فقال :

يا أمة المصطفى الهادي أليس لكم … فيمن مضى اسوة من سائر العلما
نسيتم دين خير الخلق وافترقت … آراؤكم فغدا الاسلام منقسما
أتحسبون بـأن الله تارككم … سدى وخلقكم قد تعلمون لما
ناشدتكم بالذي في العرض يجمعنا … أما فطنتم ومالاه كمن فهما
بان مغربكم قد عمه سخط … من المهيمن يا لله معتصما
ان قيل للناس ان الهرج يوبقكم … قالوا الفقيه فلان قبلنا اعتزما
لو لم يكن جاز ما أفتى الامام به … ولا أتاه،ألا تبنوا الذي انهدما
ومن يقل قال خير الخلق قيل له … ها صاحب الوقت يكفينا الذي علما
ونحن أفضل من صحب الرسول لنا … أجر يضاعف في أحقارنا نظما
وزخرفوا ترهات القول فانفعلت … لهم نفوس عوام رشدها عدما

٣٠

نهوض ابن ابي محلي الى سجلماسة ودرعة واستيلاؤه عليهما ثم على مراكش بعدهما

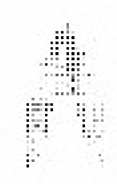
كان ابو العباس ابن ابي محلي عفا الله عنه لما كثرت جموعه وانثال الناس عليه يصرح بوجوب القيام بتغيير المنكر الذي شاع في الناس ويقول : « ان أولاد المنصور قد تهالكوا في طلب الملك حتى فنى الناس فيما بينهم وانتهبت الاموال وانتهكت المحارم فيجب الضرب على أيديهم وكسر شوكتهم » ، ولما بلغه ما فعل الشيخ من اجلاء المسلمين عن العرائش وبيعها للعدو الكافر استشاط غضبا وأظهر أنه غضب لله لا لشيء سواه فخرج يؤم سجلماسة ، وكان خليفة زيدان عليها يومئذ يسمى الحاج المير ، فخرج عامل زيدان لمصادمته ، وهو في نحو أربعة آلاف ، وابن أبي محلي في نحو أربعمائة ، فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على جيش زيدان ، وأشاع الناس أن الرصاص يقع على أصحاب أبي محلي باردا لا يضرهم ، ونفخ الشيطان في هذه الفرية فسكنت هيبته في القلوب ، وتمكن ناموسه منها ، ولما دخل سجلماسة أظهر العدل وغير المناكر فأحبته العامة ، وقدمت عليه وفود أهل تلمسان والراشدية يهنئونه ، وفيهم الفقيه العلامة أبو عثمان سعيد الجزائري المعروف بقدورة شارح السلم ، وهو من تلامذة ابن أبي محلي كما ذكره في الاصليت ، ولما بلغ خبر الهزيمة الى زيدان وانتهى اليه قلها جهز اليه من مراكش جيشا ، وأمر عليه أخاه عبد الله بن المنصور المعروف بالزبدة فسمع به أبو محلي فسار اليه فكان اللقاء بينهما بدرعة ، فوقعت الهزيمة على عبد الله بن المنصور ومات من أصحابه نحو الثلاثة آلاف ، فقوى أمر ابن أبي محلي واشتدت شوكته ، وجمع بين سجلماسة ودرعة ، وكان القائد يونس الايسي قد هرب من زيدان لامر نقمه عليه وقصد الى أبي محلي ، فجاء معه يقوده ويطلعه على عورات زيدان ويهون عليه أمره ، وما زال به الى أن أتى به الى مراكش

فبعث اليه زيدان جيشا كثيفا فهزمه أبو محلي ، وتقدم فدخل مراكش واستولى عليها ، وفر زيدان الى ثغر آسفي ، وهم بركوب البحر الى بر العدوة هكذا في « النزهة » .

وذكر لوديز البرتغالي في كتابه الموضوع في أخبار الجديدة : « ان نصاري الجديدة بعثوا الى السلطان زيدان بمائتين من مقاتلتهم اعانة له على عدوه من غير أن يطلب منهم ذلك ، فلما وصلوا اليه أنف من الاستعانة بهم على المسلمين ، لكنه أحسن اليهم وأطلق لهم بعض أسراهم وردهم مكرمين » هذا كلامه « والحق ما شهدت به الاعداء » وذلك هو الظن بزيدان رحمه الله .

ولما دخل أبو محلي قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء ، وولد له هنالك مولود سماه زيدان ، ويقال : انه تزوج أم زيدان وبني بها ودبت في رأسه نشوة الملك ونسي ما بني عليه أمره من الحسبة والنسك .

وفي « المحاضرات » للشيخ اليوسي رحمه الله ما صورته : « وزعموا أن اخوانه من الفقراء ذهبوا اليه حين استولى على مراكش برسم زيارته وتهنئته ، فلما كانوا بين يديه أخذوا يهنئونه ويفرحون له بما حاز من الملك ، وفيهم رجل ساكت لا يتكلم ، فقال له : « ما شأنك لا تتكلم ؟ » وألح عليه في الكلام ، فقال الرجل : « أنت اليوم سلطان فان أمنتني على أن أقول الحق قلته » قال له : « أنت آمن فقل » فقال : « ان الكرة التي يلعب بها الصبيان يتبعها المائتان وأكثر من خلفها وينكسر الناس وينجرحون وقد يموتون ويكثر الصياح والهول فاذا فتشت لم يوجد فيها الا شراويط » أي خرق بالية ملفوفة ، فلما سمع ابن أبي محلي هذا المثل وفهمه بكي وقال : « رمنا أن نجبر الدين فأتلفناه » انتهى



استصراخ السلطان زيدان بأبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي ومقتل أبي محلي رحمه الله

لما التف الرعاع من العامة على أبي محلي وكثرت جموعه وعلم زيدان ضعفه عن مقاومته كتب الى الفقيه أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد ابن عبد المنعم الحاحي ثم الداوودي مستغيثا به ، ثم وفد عليه بنفسه . وكان يحيى بزاوية أبيه من جبل درن ، وله شهرة عظيمة بالصقع السوسي وله أتباع ، فأتاه السلطان زيدان وقال له : « ان بيعتي في أعناقكم وأنا بين أظهركم فيجب عليكم الذب عني ومقاتلة من ناوأني » ، فلبى أبو زكرياء دعوته ، وحشر الجيوش من كل جهة ، وخرج يؤم مراكش في ثامن رمضان سنة اثنتين وعشرين وألف .

ولما انتهى الى فم تانوت موضع على مرحلتين من مراكش كتب اليه أبو محلي بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن عبد الله الى يحيى بن عبد الله ، أما بعد ، فقد بلغني أنك جندت وبندت ، وفي فم تانوت نزلت ، أهبط الى الوطاء ، ينكشف بيننا الغطاء ، فالذئب ختال والاسد صوال ، والايام لا تستقيم الا بطعن القنا وضرب الحسام والسلام » فأجابه يحيى بما نصه : « من يحيى بن عبد الله الى أحمد بن عبد الله ، أما بعد ، فليست الايام لي ولا لك انما هي للملك العلام ، وقد أتيتك بأهل البنادق الاحرار ، من الشبانة ومن انتمى اليهم من بني جرار ، ومن أهل الشرور والبؤس ، من هشتوكة الى بني كنسوس ، فالموعد بيني وبينك جليز ، هنالك ينتقم الله من الظالم ويعز العزيز »

ثم زحف يحيى الى مراكش في جموعه فنزل بقرب جليز جبل مطل على مراكش ، وبرز اليه أبو محلي ، والتحم القتال بينهما فكانت أول رصاصة في نحر أبي محلي فهلك مكانه ، وانذعرت جموعه ، ونهبت محلته ، واحتز رأسه وعلق على سور مراكش ، فبقي معلقا هنالك مع

رؤوس جماعة من أصحابه نحوا من اثنتي عشرة سنة ، وحملت جثتـــه فدفنت بروضة الشيخ أبي العباس السبتي تحت المكب المعلق هنالك عنـد المسجد الجامع . وزعم أصحابه أنه لم يمت ولكنه تغيب .

قال اليفرني : « وحدثني من أثق به من أهل وادي الساورة أن فيهم الى الآن من هو على هذا الاعتقاد »

وذكر الشيخ اليوسي في « المحاضرات » : « أن أبـا محـلى كـان ذات يوم عند استـاذه ابن مبارك فورد عليه واردحال فتحرك وجعــل يقول : « أنا سلطان أنا سلطان » فقال له الاستاذ : « يا أحمد هب انـك تكون سلطانا ، انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا » ووقع في يوم آخر للفقراء سماع فتحرك أبو محلي وجعل يقول « أنا سلطان أنا سلطان » فتحرك فقير آخر وجعل يقول « ثلاث سنين غير ربع ، ثلاث سنين غيـر ربع » قال : « وهذه هي مدة ملكه » اه .

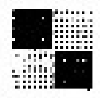
ويذكر انه لما طاف بالبيت في وجهته الحجازية سمع وهو يقـول : يارب انك قلت ، وقولك الحق ، « وتلك الايام نداولها بين الناس » فاجعل لي يارب دولة بينهم ، قالوا : « ولم يسأل حسن العاقبة فرزق الدولة وآل به الامر الى ما أبرمته يد القدرة » وكان أبو محلي رحمه الله فقيها محصـلا له قلم بليغ ونفس عال ، وله تآليف منها « الوضاح » و « القسطـاس » « والاصليت » «والهودج » « ومنجنيق الصخور في الرد على أهل الفجور » « وجواب الحروبي عن رسالته الشهيرة لابي عمرو القسطـلي » وغيرذلك ، وقد وقعت بينه وبيـــن يحيى بن عبد الله مراسلات ومهاجيـــات نظمـــا ونثـــرا كقولـــــه :

أيحيى الخسيس النذل مالك تدعي	بزور شعارا للفحـول الاوائـــل
كدعـواك في بيت النبـوة نسبـــة	وأنت دنيء مـن أخس القبائـــل
ووجهك وجه القرد قبح صـــورة	وراسك رأس الديك بين المزابـل

ويزعمون أن يحيى كان معاشرا لابي محلي أيـام الطلب بالمدرسة

بفاس قال اليفرني : وحدثني صاحبنا القاضي ابو زيد السكتاني انـه وقف على تأليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وابى محلي مـن الشعر فـي غـرض الهجـاء وغيـره .

وقد رمز تاريخ ثورة ابى محلى ووفاته ، الشيخ الفقيه ابو العباس أحمد المريدي المراكشي فقال : « قام طبشا ومات كبشا » ولا يخفى ما فيه بعـد افادة التاريخ من حسن التلميح وبديع التورية ، ولما قتل ابن ابى محـلى دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافة منها والقى بهـا عصـا تسياره ، ورام ان يتخذها دار قراره ، فكتب اليه السلطان زيدان يقول : « أما بعد فان كنت انما جئت لنصرتي وكف يد ذلك الثائر عني فقد ابلغت المـراد وشفيت الفؤاد ، وان كنت انما رمت ان تجر النـار لقرصك ، وتجمـل الملك من قنصك فاقر الله عينك به » والسلام . فتجهز يحيى للعود الى وطنه واظهر العفة عن الملك وانه انما جاء ليدافع عن السلطان الذى بيعتـه فـي عنقه ، وانقلب الى بلاده ورجع زيدان الى مراكش ، فاستقر بدار ملكـه وقد قيل : ان يحيى رام الملك وان اجناده مـن البربر لـم يساعدوه فـي قصـة طويلـة . والله اعلـم



بقية أخبار أبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي

وما دار بينه وبين السلطان زيدان رحمهما الله

هو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي الداوودي المناني وكان جده سعيد واحد وقته علما ودينا وهو الذي أحيا الله بـه السنة بالسوس ، وانتعش به الاسلام فيه ، وتوفي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة فخلفه ولده ابو محمد عبد الله وجرى على نهجه وسبيله ، بل كان بعض الناس يفضله على أبيه ، وتوفي سنة اثنتي عشرة والف ودفن بزداغة من جبل درن حيث كانت زاويته . ولما مات جلس ولده ابو زكرياء يحيى موضعه وانتهج سبيله ، وكان فقيها مشاركا رحل الى فاس واخذ عن شيوخها كالمنجور وغيره ، وعن الشيخ العارف بالله ابي العباس احمد الحسني على ما وجد بخطه السوساني الشهير بادفال دفين درعة ، وهو معتمده ، أخذ عنه كثيرا من الفنون واجازه في علوم الحديث اجازة عامة ، وكان يحيى شاعرا محسنا ، وكانت له شهرة عظيمة بالصلاح ، وله أتباع كوالده وجده ، وتوجهت الى زيارته الهمم ، وركبت اليه النجائب الا أنه وقع له قريب مما وقع لابي محلي ، فتصدى للملك وخاض في امور السلطنة فتكدر مشربه ، وقد قال بعض العلماء : « ان الرياسة اذا دخلت قلب رجل لا تقصر عن اذهاب رأسه » . ولذلك قال صاحب « الفوائد » (*) في حقه :

(*) كتاب الفوائد الجمة باسناد علوم الامة . وصاحبه هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد بن ابراهيم بن أحمد الجزولي المعروف بالتمنارتي نسبة الى تمنرت واحة بجنوب الاطلس . تولى قضاء تارودانت وتوفي في حدود السبعين وألف الموافق لسنة ١٦٦٠ . وقد نقل عنه اليفرني الكثير في النزهة . وتوجد منه نسخة الآن في وقتنا هذا وهو سنة ١٣٥١ الموافقة لسنة ١٩٣٢ في مكتبة قاضي تارودانت السيد موسى بن العربي . وأخرى بخزانتنا الناصرية بسلا .

« انه قام لجمع الكلمة والنظر فى مصالح الامة ، فاستمر به علاج ذلك الى ان توفى ولم يتم له امر ، وكان يراسل السلطان زيدان ويكثر عليه ويجير عليه من استجا ربه ويروم الى مناصحته ابتغاء ، ويسر من ذلك حسوا فى ارتقاء ، وكان زيدان يحتمل منه امرا عظيما . فمما كتب به يحيى اليه ما نصه : «من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم كان الله له بجميل لطفه آمين ، اللهم انا نحمدك على كل حال ، ونشكرك يا ولى المؤمنين على دفع اللاواء والمحال ، ونصلى ونسلم على صفيك أفضل من شدت اليه الرحال، ونستوهبك يامولانا جميل لطفك وجزيل فضلك فى المقام والترحال ، عائذين بوجهك الكريم من مؤاخذتنا بسوء أعمالنا بشديد المحال ، هذا وسلام الله الاتم ، ورضوانه الاعم ، ورحمته وبركاته على المولى الامام العلم المقدام ، العلوى الهمام ، كيف انتم وكيف احوالكم مع هذا الزمان الذى شمر عن ساقه لسلب الاديان ، والح فى اقتضاء هواه على كل مديان، فان لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبعد ، فالباعث به اليكم فى هذه البطاقة امور ثلاثة مدارها على قوله صلى الله عليه وسلم : «الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولخاصة المسلمين وعامتهم » فالاول : بيان سبب الركون الى جانبكم ، والثانى : الحامل على دفع مناويكم، والثالث : ملازمة نصحكم وتذكيركم والضجر مما يصدر منكم ومن اعوانكم للرعية ، أما الاول فله اسباب كثيرة منها : مراعاة الجناب النبوى الكريم فى أهل بيته ، ورضى الله عن ابى بكر الصديق القائل : « ارقبوا محمدا فى أهل بيته » والقائل : « لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى ان أصل من قرابتى »

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم المجد انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

ومنها : نصح خاصة المسلمين الذى هو : الدعاء بالهداية لهم ورد القلوب النافرة اليهم ، ونصحهم بقدر الامكان مشافهة ومراسلة ومكاتبة ، وقد بذلنا الجهد فى الجميع اخلص الله القصد فى الجميع ، واما الثانى : فلما

جرى القدر بتغلب ذلك الانسان المتسلط على النفس والحريم والامـــوال وادخل بتأويلاته البعيدة عن الصواب ما ليس فى المذهب ، وتعدى خصوص الولاة الى سائر الرعية فاضلها ومفضولها ، ومد مع ذلك يد الوعيد المؤكـــد بالايمان الينا فى الانفس والاموال ، فناشدناه ، كما تقرر فى فتاوى الائمة رضى الله عنهم ، حيث توفرت فيه فصول الصائل كلها بشاهد العيان ، فكان الامر كما قدر الله تعالى ، « ولله الامر من قبل ومن بعد » واما الثالث : فالكتاب والسنة والاجماع ، أما الكتاب فسورة : والعصر ، فانها البرهان فى كل اوان وعصر . وقال تعالى فى قضية كليمه : « رب بما انعمت على فلـــن اكون ظهيرا للمجرمين » وقد استشهد به بعض العلماء فى برى قلم لكاتب بعض الأمراء المتقدمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وقوله جل من قائل : « وتعاونوا على البر والتقوى ،ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » واما السنة : فالحديث الاول ، قولـــه صلى الله عليه وسلم : « المعين شريك »، وقولـــه : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يقدر فبلسانه ، فان لم يقدر فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان والقلم لكون التغيير العملى اليكم حتى جذبتمونا اليه ، ودللتمونا بارتكـــاب أصعب مرام عليه ، وقوله : « من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه : آيس من رحمة الله » وقد قال المواق فى شرحه على المختصر : « من اعان على عزل انسان وتولية غيره ولم يأمـــن سفـــك دم مسلم فهو شريك فى دمه ان سفك » ثم اتى بالحديث المتقـــدم استعظاما لذلك الامر الفظيع ، فانا لله وانا اليه راجعون ، على انا انخدعنا بالله حتى كنا نأمن بالقطع سفك الدماء اذ ذاك ، حيث كتبت الينا مرارا وأمنت وارسلت وكنت أتخوف من هذا الواقع اليوم بازمور وآسفى ومراكش والغرب ، ولذلك كنت الححت عليكم فى تقرير العهد حتى أتانى القائد عبـــد الصادق بمصحف ذكر انه لسلطان تلمسان فى جرم صغير ، وقـــال لى : « أمرنـــى السلطان ان احلف لك فيه نيابة عنه على بقائه على العهد فيما بينك وبينـــه من تأمين كل من امنته ، وامضاء كل ما رأيته صلاحا للامة » ثـــم لم اكتف

حتى أتى القاضي فكتبت الى معه : « ان كل ما رأيت فيه انصلاح للامـــة أمضيته ، وانك امنت كل من امنته » ثم بعد استقرارك فـي دارك كتبت الى كتابا : « انك باق على ما تعاهدنا معك عليه من الامور كلهـــا على معيـــار الشريعة » فما راعني الا وقد أخفرت في ذمة الله وأماني الذى عقدتـــه للناس ، فمن مأسور ومقيد ومطلوب بمال ومطرود عن بلد ، واخبار أخر ترد علينامن جهة السواحل، وان الناس تباع فيها للعدو دمره الله، ولم نر من احتبل بذلك ممن قلدتموه امور الثغور ، فلم ندر هـــل بلغك ذلـــك فسقط عنا ملامة للشرع ، او لم يبلغك فاعلمنا لله لتطمئن قلوبنا ، فانـــي أكاتبك في ذلك فلا ارى جوابا ، فقضيت والله من الامر عجبا ، فان عددت ما من الله به عليك من رجوعك الى سرير ملكك واجتماعك بسربك آمنـــا من قبيل النعم فقيده بما تقيد به كما في كريم علمك ، وان رأيته بنظـــر آخر فان لله ما في السموات وما في الارض ، واما الاجماع : فلم نر من العلماء من نهى عن نصح خاصة المسلمين وتنبيههم على ما يصلح بهم وبالرعية، بل عدوه من الدين للحديث الاول وغيره ، واما ما استشعرناه من امتعاضكم من عدم الانة القول في مكاتبتنا لكم فما خاطبناكم قط رعيا لذلك ، ولو ينصف مـــا خاطب به الائمة الاول اهل زمانهم اتكالا على مطالعتكم لكتبهم ، وعلمكـــم بما لم نعلمه من ذلك ولم نروه ، ويكفيكم نصح الفضيل وسفيان وامامنـــا مالك رضي الله عنهم ، لمعاصريهم من الولاة ومنهم من بكى وانتفع ، ومنهم من غشي عليه وتوجع ، ومنهم من ندم واسترجع ، الى غير ما ذكرنا على اختلاف الاعصار ، وتنوع الدول والاقطار ، فبذلك اقتدينا ، وبما كان عليه أشياخنا وأسلافنا لكم ولاسلافكم عملنا ، كالفقيه شيخ والدنا رحمه الله سيدى عبد الله الهبطي لجدكم المرحوم بكرم الله ، فطمعت بنجح النصح ونفعـــه دنيا واخرى ، فهذا أصل قضيتنا معكم وهلم جرا ، والذكرى تنفع المومنين على كل الاحوال ، والحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله خير آل ، وبتاريخ أواخر ربيع النبوى الانور كتبه عن اذنـــه رضي الله عنه عبد ربه محمد بن الحسن بن ابى القاسم لطـــف الله بـــه

بمنه ، اه فاجابه السلطان زيدان رحمه الله بما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

من عبد ربه تعالى المقترف المعترف : زيدان بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد ، الى السيد أبي زكرياء يحيى بن السيد أبي محمد عبد الله ابن سعيد ، أعاننا الله واياكم على اتباع الحق ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد ، فقد ورد علينا كتابكم ففضضنا ختامه ووقفنا على سائر فصوله ، ثم انا ان جاوبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي ربما غيركم ذلك وادى الى المباغضة والمشاحنة ، فيحكى عن عثمان رضى الله عنه انه بعث الى على رضى الله عنه واحضره عنده والقى اليه ما كان يجده من اولاد الصحابة الذين اعصوصبوا باهل الردة الذين كان رجوعهم الى الاسلام على يد الصديق رضى الله عنه وهو فى كل ذلك لا يجيبه ، فقال له عثمان رضى الله عنه : ما أسكتك ؟ فقال : « ياأمير المؤمنين ان تكلمت فلا اقول الا ما تكره ، وان سكت فليس لك عندى الا ما تحب »ولكن لما لم أجد بدا من الجواب أرى أن اقدم لك مقدمة قبل الجواب ، فتعلم ان الحجاج لما ولاه عبد الملك العراق وكان من سيرته ما يغنى اشتهاره عن تسطيره هنا ، فتأول ابن الاشعث الخروج عليه وتابعه على ذلك جماعة من التابعين كسعيد بن جبير وامثاله من أولاد الصحابة رضى الله عنهم ، ولما قوى عزمهم على ذلك استدعوا الحسن البصري لذلك فقال : « لا افعل فانني ارى الحجاج عقوبة من الله نفزع الى الدعاء اولى » قال بعض فضلاء العجم : يؤخذ من هذا ان الخروج على السلطان من الكبائر وجواز المقام تحت ولاية الظلم والجور ، وقد علمت ما كان من امر عبد الرحمن بن الاشعث وسعيد وامثاله ، وعلمت قضية أهل الحرة، لما اوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف ولما بلغه الخبر أنشد:

ليت أشياخى ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الاسل

وشاع ذلك عنه وذاع ، وكان على عهد اكابر الصحابة وأولادهم ،

ولا تعرض أحد منهم لنكير عليه ، ولا تصدى لقيام ولا خاطبه بملام، واما ما يرجع الى جواب الكتاب فاما ما حكيت عن الصديق رضي الله عنه في أهل البيت والاحاديث الواردة فيهم وأنه يجب تعظيمهم واحترامهم وتبجيلهم لاجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فان كان يجب عليكم تعظيمهم فان تعظيمهم يجب على اولى واولى عملا بقوله تعالى : « قل لا اسألكم عليه اجـرا الا المودة في القربى » واجرى الله تعالى عادته انه ما تصدى أحد لعداوة هـذا البيت النبوى الا كبه الله لوجهه ، واما ما اوردتم من الاحاديث في النصح فنى والله أحب أن تنصحني سرا وعلانية مع زيادة شكرى عليه ، وأراهـا منك مودة واعدها محبة ، ولكني افعل ما اقدر عليـه ، لان الله سبحانـه يقول : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ولهذا قال اكثر العلماء في صدور تصانيفهم : « ولم آل جهدا في كذا »لان النفوس الشريفة العالية لا تترك من فعل الخير والجد في اكتسابه الا ما عز تناوله عليها وصعب اكتسابه

واما ما ذكرتم من امر ابى محلى وسيرته وما كان تسلط عليه ، أمـا ما كان من استنهاضكم اليه المرة بعد المرة وتكررت في ذلـك البكم الرسل حتى اجبت اليه فلا نحتاج فيه الى اقامة حجة غير كونه خرج عن الجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من اراد ان يشق عصاكم فاقتلوه كائنا مـن كان » والا فلو دخل الملك من بابه وبايعه أهل الحل والعقد واخذ ذلـك بوسائط مثل بيعة جدنا المرحوم التي تضافرت عليها علماء المغـرب واهـل الدين المشاهير ، فلو كان وصل الى ذلك بمثل هذه الوسائط لم يجب حربه ولا القيام عليه بما ذكرتم ، لان السلطان لا ينعزل بالفسق والجـور ، والا فان الصحابة في زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم ، وما تصدى أحـد للقيام عليه ولا قال بعزله ، والا فانهم لا يجمعون على الضلالـة ولـو نشروا بالمناشير ، واما ابو محلى فبمجرد قيامه يجب عليك وعلى غيرك اعانتنا عليه لانك في بيعتنا ، وهي لازمة لك ، فالطاعة واجبة عليك ، واعلم ايضـا ان والدك أفضل منك بدليل : آباؤكم خير من ابنائكم الى يوم القيامة ، وكـان عمنا مولاى عبد الملك رحمه الله وسامحه على ما كان عليـه واشتهر بـه

اعلانا ، وكان والدك في دولته وبعثه ووفد عليه ولم يستنكف من ذلك ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا أنكر ولا عرض بما يسوء سلطان الوقت ولا سمع ذلك منه ، فان كان راضيا بفعله فهو مثله ، وان لم يرض فما وجه سكوته والوفادة عليه ؟ وقد تحققت وعلمت ان ولاية أحمد بن موسى الجزولي كادت تكون قطعية واشتهر امره عند الخاص والعام حتى أطبق أهل المغرب على ولايته ، وقد كان على عهد مولاي عبد الله برد الله ضريحه وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه ، وما برح الشيخ المذكور يدعو له ولدولته بالبقاء ويظهر حبه ، وكان المولى المذكور يعزل ويولي ويقتل ، وكان قد شرد منه الى زاوية الشيخ المذكور المرابط الاندلسي ، وولد آصاك وامثالهم ، وكان الشيخ المذكور يقدم للشفاعة فيشفع ولا يتعقب ولا يبحث عما وراء ذلك باق على عهده ومودته ، وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فما فتحها حتى امره ، ولا استعظم احد ذلك ولا أكبر فيه ولا جعله سببا لفتح الفتنة ، وكان قواد المذكور مثل : وزيره ابن شقراء وعبد الكريم بن الشيخ وعبد الكريم بن مؤمن العلج والهيطلي والزرهوني وعبد الصادق بن ملوك وغيرهم ممن لم يحضرني ذكرهم ، لبعد عصرهم ، قد انغمسوا في شرب الخمور واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب ، وكان في عصره أحمد بن موسى المذكور وابن حسين ومحمد الشرقي وابو عمرو القسطلي ومحمد ابن ابراهيم التامنارتي والشيظمي وغير هؤلاء من المشايخ واهل الدين الذين لا يسع من يدعي هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم فاحسنوا السيرة ، ولا تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقدح في ولاة الامر وقادة الاجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع في تدبيره اليهم ، ومثل من ذكر من الاولياء كان علامة الزمان وواحد وقته شيخ مشايخ افريقية وبعض أهل المغرب عبد العزيز القسنطيني الشيخ المتكلم الصوفي صاحب «الآيات البينات» ، قد كان من سكان تونس ، وكان ملوك تونس ومن انضاف اليهم على الفساد الذي لا ينحصر واشتهر امرهم

حتى عرفوا به في المشارق والمغارب ، ولم يبرح الشيخ المذكور من بيتهم ولا تعدى لتغيير المنكر والامر بالمعروف حتى قبضه الله اليه

واما ما ذكرتم من ان من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله هذه حجة عليك لا علينا ، لاني ما سعيت في قتل احد ، يعلم الله ، ولا قتل من قتل الا بأمر القضاة وأهل العلم ان كان .. واعلم انه اذا كان هذا يكون وعيدا في قتل الواحد فما بالك بمن يريد فتح باب الفتنة حتى لا يقف القتل على المئين والا'لاف ونهب الأموال وكشف الحريم الى غير ذلك ، أما تعلم ان فتنة أبي محلي قد هلك بسببها من النفوس والاموال ما لا يحصى عدده ولا يستوفي نهايته كاتب ، وكان كل ذلك على رقبته لانه هو المتسبب الاول الفاتح أبواب الفتنة لانه كان يقتل كل من انتمى الينا حتى قتل بسببه في يوم واحد بمكان واحد خمسمائة قتيل ، ولولا ابو محلي ما قتلوا وأعظم في حرمة النفوس من هذا الذي قلت قوله تعالى : « كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا »

وليس في قول المواق ما يحتج به على السلطان وانما هو في أصحاب الخطط على الترتيب الذي كان على عهده مثل اصحاب الشرطة ، كصاحب الشرطة الذي ينفذ أحكام القاضي ، وصاحب شرطة السوق الذي ينفذ الاحكام عن قاضي الحضرة ، وغير ذلك من الولايات

وولاية ابي محلي لا تعد ولاية حتى يعتبر عزله ، وما عند المواق وغيره وقفنا عليه وعرفناه وتلقيناه عن الاشياخ الجلة وعرفنا ما عند الشافعية والحنفية ودرسناه المرة بعد المرة ، ولست ممن ينطبق عليه قوله : أشقى الناس عالم لم ينفعه الله بعلمه ، ولكن لماذا تحتج بقول المواق لغرضك وتجعله حجة ولم تجبنا نحن فيما كتبنا اليك به في يونس اليوسي ، وقلنا لك قال صلى الله عليه وسلم : « الحرم لا يجير عاصيا » ، قال الابي : وهذا يحتج به على اهل الزوايا » واضربت عن الجواب وليس ذلك من

أدب الجدل ، ولكن اخبرنا عن الوجه الذي منعت به يونس اليوسي من الشرع فان متاعنا عنده ، واماء اهلنا في داره الى يوم الوقعة ، وترتب في ذمته للمسلمين من الاموال والدماء ما علمت ، فان كنت ممن يريد العدل فهلا عدلت فيه ، فحينئذ تعلم انك لا تريح جهته ولا تذهب بك النفس مذهبها ، لا جرم حينئذ تكون عند ما تريد ومع هذا لما أمسكنا زوجته وكتبت لنا فيها سرحناها ساعة وصول خطابك من غير توقف ، فلو كنت عاديا لعبثت بها عبثه هو باماء اهلي وأهل داري ، على اني ما رددت شفاعتك منذ عرفتك ، بعثت لي على ابراهيم بن يعزى فسرحناه لغرضك ، على انه ترتب في ذمته ما ينيف على خمسين الف اوقية ، وذلك المال انما يقال له : بيت مال المسلمين ، وانما كان يجب تخليده في السجن ، وأهل الحصن أخرجناهم منه عن آخرهم وأنفذتم كتابكم بردهم فامرنا بردهم عن آخرهم، وابن يعقوب اوزال حاكم البلد وشبه الخليفة تركناه على دارنا وحرك من غير اذننا ولا مشورتنا ، وبعثنا مكانه فانفذت الكتاب فيه فرد لمكانه ، ما هو الامر الذي سافرت كتبك فيه ولا اسرعنا فيه خفافا ؟ واما مسئلة أهل آزمور فلما جاء كتابكم عزلنا صاحبه وسرحنا من كان عنده ورددنا الخيل ، وقضية الحناشة : الناس في شأنهم بالاجتهاد ، وقضية العرب : اعلم ان العرب قد افسدوا الارض واستطالوا سوله هذه البلاد والمغرب ، والذي يليق بهم ما أفتى به سحنون في عرب افريقية والمغرب ، ولو طالبناهم بمجرد العشر مدة هذه الفتنة في المغرب لاتى ذلك على اموالهم ، والناس قد خرجوا عن أطوارهم ، واحبوا الفتن طلبا للراحة ، وانظر كتاب «الافادة» كذا للقاضي واستطالتهم فيه عليه في قضية شرعية مشروحة في رسمها القديم ، على انهم أضعف الناس قلوبا ، انظر ما صدر منهم فما بالك بالعرب الذين خرجوا عن الطاعة ، وتساوى الشيخ والصغير في ذلك ، فان كنت تصغي لمقالاتهم واسعاف شهواتهم والتعرض للسلطان دونهم فهذا نفس خراب العالم ،

---

[*] الحناشة كانوا يبيعون أولاد المسلمين للنصارى .

وطالع كتاب صاحبنا من عند الرحامنة وما صدر منهم لخديمكم ، ورأيت أن أقدم لك مقدمة أمام هذا ، وان كانت ادبية قيل لابن الرومي ، وهو على ابن العباس ، لم لم تقل كقول ابن المعتز :

كأن آذريونا والشمس فيه عاليه مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

فأجاب بأن قال : « لا يقدر أن يقول هو مثل قولي في وصف الرقاقة :

ما أنس لا أنس خبازا مررت به يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر

ما بين رؤيتهـا في كفه كـرة وبين رؤيتهـا قوراء كالقمـر

الا بمقدار مـا تنداح دائـرة في صفحة الماء يرمي فيه بالحجر »

وقال : « كل منا وصف اواني بيته » « ورب البيت اعلم بما فيـه »، « واهل مكة أدري بشعابها » « والصيرفي أعرف بنقد الدينـار » وقصة الخضر والكليم صلوات الله على نبينا وعليهم فيها كفاية لمن يعتبر في خرقه السفينة وقتله الغـلام واقامتـه الجدار ، والكليم يرد عليه في كـل ذلك حتى أنبأه الله بسر مالم يطلع على أن علم الخضر في علم موسى كحلقة ملقاة في فلاة ، هكذا قال بعض العلماء ، وقال بعضهم كل منهم على علم خصه الله تعالى به ، ومن هنا جوز ابن عربي الحاتمي في بعض كتبه ، واحسب ان ذلك في « الفصوص » ان الولي الذي يتخذه الله ويصطفيه بمحبته يطلعه على علم لم يطلع عليه الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فقـال مشيـرا الى نفسه : « أطلعني الله على علم لم يطلع عليه آدم فمن دونه »

واعلم أن السلطنة لها اسرار لا بد منها وسياسة ينكر ظاهرها ، ولكن نرجع الى غرضك ومرادك ، اخبرنا : كيـف تحب أن يسلـك الناس في العرب ؟ فان كنت تحب أن يسلك الناس فيهم مسلـك مولاي عبـد الله فالزمان غير الزمان والاسعار قد طلعت وبلغت النهاية ، والله تعالى قد بعث انبياءه وانزل كتبه بحسب ما يقتضيه الزمان ، وهـذا يعرفه مـن خالط الشرائع والكتب المنزلة واخذ العلم من افواه الرجال ، وادبتـه مجالـس العلم ونحن نلخص لكـم الكلام على بعض ما اورد النـاس في الخارج :

أما ما بنوا عليه فرضه في صدر الاسلام والدول العظام فلا نطيـل بذكـره

لشهرته ، واما في المغرب خصوصا ، فاول من فرضه عبد المؤمن بن على ، وحمله على اقطاع الارض بناء على ان المغرب فتح عنوة ، وانه ذهب بعض العلماء ، ومنهم من يقول : ان السهل فتح عنوة والجبل فتح صلحا ، فاذا تقرر هذا ، وعلمت ان اهل ذلك العصر قد بادوا واندثروا ، وبقي السهل كله ارثا لبيت المال ، تعين أن يكون الخراج فيه على ما يرضي صاحب الارض وهو السلطان ، والجبل تتعذر معرفة ما كان الصلح عليه ولا سبيل الى الوقوف عنه فيرجع فيه الى الاجتهاد ، وقد اجتهد سلفنا الكرام رضوان الله عليهم في فرضه لاول الدولة الشريفة على حسب وفق ائمة السنة ومشايخ أهل العلم والدين في ذلك العهد ، فجرى الامر على السنن القويم الى ان هبت عواصف الفتنة لايام ابن عمنا صاحب الجبل ، وادالة مولانا الامام وصنوه المرحوم على حواضر المغرب وسهله عند الزحف بالاتراك ، وامتدت به الفتنة في الجبل الى ان هلك مع النصارى في الغزوة الشهيرة ، وجاء الله من مولانا المقدس بالجبل العاصم للاسلام من طوفان الاهوال ، فقدر رضى الله عنه الاشياء حق قدرها ورأى ان المغرب غب تلك الفتن قد فغر فمه لالتهامه عدوان عظيمان : الترك ، وعدو الدين الطاغية ، فاضطر رحمه الله الى الاستكثار من الاجناد لمقاومة العدو والذب عن الدين وحماية ثغور الاسلام ، فدعا تضاعف الاجناد الى تضاعف العطاء ، وتضاعف العطاء الى تضاعف الخراج ، وتضاعف الخراج الى الاجحاف بالرعية ، والاجحاف بالرعية أمر يستنكف رضي الله عنه من ارتكابه ولا يرضاه في سيرة عدله طول أيامه ، فلم يمكن له حينئذ الا أن أمعن النظر رحمه الله في أصل الخراج فوجد بين السعر الذى بنى عليه في قيمة الزرع والسمن والكبش الذى تعطيه الرعية منذ زمن الفرض ، وبين سعر الوقت أضعافا ، فحينئذ تحرى رحمه الله العدل فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه ، ودفع ما يساويه بسعر الوقت ، فاختاروا السعر مخافة أن يطلع الى ما هو أكثر ، فأجابهم اليه رضي الله عنه ، وعرف الناس الحق فلم ينكره أحد

من أهل الدين ، ولا من أهل السياسة ، ليت شعري لو طلبنا نحن الرعية بسعر الوقت الذي طلع اليوم الى أضعاف مضاعفة ماذا تقولون ، وقد انتقدتم علينا ما هو أخف من ذلك . والحاصل راجعوا رضي الله عنكم ما عند الامام الماوردي في الاحكام السلطانية في ضرب الخراج فقد استوفى الكلام في ذلك

وأما ما تقضيه من العجب لتعطل أجوبتنا عنك فنحن نراجع أقل منك ، ولكن كتابك آكد مبناه على قصة أهل آزمور فانفذنا من أخرج الذي كان به واقصاه عنه وشرد من كان عنده فتوقف الجواب حتى رجع الخديم فحينئذ أجباكم بما وصلكم ، وتعجيل الاجوبة وبطؤها فاعلم أن الذي يقتضي ذلك أمور ، منها أن يكون الامر الذي ورد الخطاب فيه منكم ما سمعت به ولا بلغني فنتوجه للبحث عنه والفحص عن أسبابه فربما أوجب ذلك البطء بحسب الاماكن والبلدان فيكون جوابنا على أساس وبيان ، وان كان عندنا خبر ما ورد فيه خطابكم فالجواب لا يتأخر ، وقد وقع هذا منا غير مرة ، وكون تعطيله منشأه مامن الله به علينا من رجوعنا الى سرير ملكنا واجتماعنا بسربنا آمنين ، اعلم أن أهل هذا المغرب لما تمالأوا علي وخرجت الى المشرق والتقيت بالترك والاروام وجالسوني وجالستهم وخاطبوني وخاطبتهم، فمنهم مشافهة ومنهم مراسلة، وكنت أيام مقامي في أرضهم كمقامي على سرير ملكي ، لان كبيرهم وصغيرهم ورئيسهم ومرؤوسهم كان ينتجع فضلي ويمد كفه رغبة في نعمتي ، وواسيت الجميع عطاء مترفا مع قلة الزاد والذخيرة ، وترفعت عن مواساة الاماثل والاكابر من العجم والعرب ، ولا ركنت لاحد ، بل تجودت بما قدرت عليه من الاخبية ، حتى جعلت محلة برماتها وخيلها ، فترامت علي العجم بالرغبة ، وبسطوا أكف الضراعة في المقام عندهم والدخول في جملتهم ، وعرضوا على الاقطاعات السنية ، والبلادات الملوكية بلطف مقال وادب خطاب ، حتى قال لي القبطان مراد رئيس المجاهدين : « وما مثلك يكون مع العرب ها نحن نخدمك بأموالنا وأنفسنا ، وبمالنا من السفن حيث اردت وأحببت » وما

انفصلت عنهم حتى كتبت لهم بخطي : اني أحمل أهلي وحاشيتي وأرجع اليهم الا ان تمكن لي الدخول في الملك والغلبة على البلاد أو بعضها ، وقفلت من عندهم ولم يتعلق بثوب عفافي ما يشينه منهم ولا مع العرب ، ولا كان لاحد على منة ولا نعمة الا فضل الله سبحانه ، وكان فضل الله علينا عظيما .

ثم اني دخلت سجلماسة ، على رغم أنف أهلها وواليها ، ومنها دخلت السوس ، وجعلت ولي الله العارف به أبا محمد عبد الله بن المبارك واسطة بيني وبين أخي حتى اجتمعت بأهلي ومالي ، ثم بعث الى الترك باحد بلكباشات اسمه مصطفى صولجي الى السوس راغبين في انجاز الوعد ، وجنحت للمسير اليهم فرأيت الاهل والاتباع قد عظم الامر عليهم واستعظموا الخروج ، فاسعفت رغبتهم في المقام بالمغرب ، وشيعت الرسول قافلا الى قومه من سجلماسة عند الدخول الثاني لها ومغالبة أهلها عليها ، وعززته برسول من عندي اليهم بتحف وأموال ، ورد بها عليهم مع رسولهم ، ثم انى اقتحمت مراكش على أهل فاس على كثرة عددهم وعددهم وقلتي ، ففتح الله ، ثم خرجت الى السوس مرة اخرى وأوقعت بولد مولاي أحمد الشريف وجموع مراكش ، وقد تعصبوا عليه لانهم شيعة جده ، ففضضته على رغمهم ، ونازلته بالسهل والحزن حتى امكن الله منه ، وحكم بيني وبينه ، ثم نجم الغوي أبو محلي وغلبت على الرأي ، وقد قال من هو أفضل مني مولانا علي كرم الله وجهه : « لا رأي لمن لا يطاع » ودخل هذه البلاد وخرجت أنا الى السوس ريثما تجتمع قبائلنا في المكان الذي كان اجتماعهم فيه الى أن بلغتهم ، وقصد اليهم أبو محلي فقاتلوه ورحل عنهم بعد أن أثخنوا فيه بالقتل ، ثم وافيتهم فكان الحرب بيناسجالا ، فهل سمعتم خلال هذه الاحوال اني احتجت الى أحد فيما قل أو جل ؟ وهذا كله بحيث لا يخفى عليك ، اللهم الا ان تعدوا الوفادة التي وفدنا عليك من قبل الاضطرار والاحتياج فلا ادرى ، على أني ما قصدتك لطلب دنيا ، لاني كنت أسمع ما انت عليه من متانة الدين والصلاح والاقبال على طاعة

الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا غرو أن من كان
هذا وصفه كان جديرا بان يقصد للدعاء ولاصلاح القلب ، ولا شك أننا
تزلنا دارك وحللنا بمكانك ، ولما وقع الاجتماع بك جرت المذاكرة في
أبي محلي وغيره حتى كتب الكتاب الذي علمنا عليه ، وهاهو بخط يدك ،
فان نسينا بعض ما فيه ولا فعلنا فاخبرنا به ، تستدركه ، وهذه مراكش
التي ذكرتم قد كنت فيها كما ذكرتم ، ووقفت على عبد المؤمن بن ساسي
وعدته مرة اخرى في مرضه ، وهل قصدته لطلب دنيا أو عرفته لاجلها ؟
ومحمد بن أبي عمرو لما وقفت على المدرسة التي من بناء مولاي عبد الله
وقفت عليه في داره ، وكل ذلك انما نفعله تأكيدا للمحبة وزيادة في
المعرفة بالله ، ولو علمت أن ذلك يعد عيبا ويظن أنه نوع من الاحتياج
ما كنت والله لاقف على أحد ولو أنه يملكني الدنيا بحذافيرها ، لان
الخير والشر بيد الفاعل المختار ، فهو أولى بالاضطرار اليه ، وأما سريبي
فما تروع قط حتى يأمن ، وأما من كان بالدار التي ذكرتم فانماهم أهلي
ومتروك أعمامي . وهذه الدار التي ذكرتم فهانحن ننتقل عنها الى بعض
البلاد الغربية البحرية كما قلت لك ذلك مشافهة ساعة قلت لي ينبغي
للاشراف بناء بالجبل لوقت ما ، وحكيت ذلك عن والدك ، وأما ما أخبركم
به القاضي أيام ورودي الى السوس وقت بلغني كتابكم الذي نصه : قد
اجتمعت الناس وفسدت النيات وتعينت المطامع وأردنا تدبيركم ، لان الملوك
أهل التدبير والمراد رجوعنا لاوكارنا من غير وصمة تلحق الجانبين ،
فكلما حمل فهو عنى والزمنه الى الآن الا ما طرأ علينا فيه النسيان ،
فذكرونا به فانا لا نخرج عنه . واما يمين المصحف واني حلفت فيه للقائد
عبد الصادق فلا والله ما حلفت فيه ولا أحلف لاحد الى لقاء الله ، أما
علمت أني حضرت بيعة الشيخ المأمون صاحب الغرب سامحه الله ، وحضر
اولاد السلطان واستحلفهم له الا أنا رضي الله عنه ، فانه قال : «فلان لا يحلف
لا يحتاج اليه فيما نامره به ونفعله » وعظم ذلك على اخوتي ، وظهرت في
وجوههم لاجله الكراهية ، ولكن الذي قلت لعبد الصادق أحلف للمرابط فاني

أوفى لك به ، ولا زلت على ذلك لان الذى كنت تقول في ذلك الوقت : أخاف أن تقع في أهل مراكش والاكابر ونحوهم مثل حكومة عبد القادر ونحوها . أما أهل مراكش فما تعرضنا لاحد منهم حتى تركنا متاعنا لاجلكم، كولد المولوع وغيره، وهذا الميدان والشقراء فابعث من رضيت ينادي فيهم ، من له حق علينا نصفه منه ومن خدامي أيضا ، وان كنت سمعت قضيــة منصور المكاري ، فالمكاري نزل أهلنا في خيمته عند وقعة رأس العـين فلما أرادوا الطلوع الى الجبل تركوا أكثر مالهم في خيمته مع بعض الخدم خوفا من غائلة البربر لما كان وقع منهم لاهل بابا أبي فارس فأخذ سماطـا من ذهب يزيد على ستين ألف أوقية ، وكان أيسام أبي حسون معه وفــي جملته حتى مات القائم فبذل حجته بانحياز عشرين ألفا والباقي حتى يؤديه على سعة ، وطلب منا أن يتمهل ويتولى بعض الخطط لينتفع ويجمع بعض ذلك فصرفناه ، حتى اذا جاء أبو محلي ووقع ما وقع طالبناه بمتاعنا وهـو لا يسعه انكاره ، وهكذا عبد الكريم الذي في زاويتك بنفسه يعلـم أن اخوته أخذوا لي سلعة في وسط حلتهم وأنا بين بيوتهم تزيد على خمسين ألفا ، وأخذوا الابل ،وهانحن سكتنا عنهم ولا طالبناهم بها ، وأيضا قال لك انظر ما فعل باخوتي وصرت تكاتبنا وانت لا علم عندك بأصل المسألة ، وأما الاموال فان الله سبحانه قد وسع علينا من فضله وعندنا ما يكفــي الخامس والسادس من الولد ، وعرفنا الناس وعرفونا وعاملناهم وعاملونا ، ولو أردت خمسمائة ألف مثقال من أصحاب أفلامنك ،أو من أصحاب الانجليز وكتبت اليهم في ذلك ما تأنوا في بعثه ، ولا لاذوا فيه بمعذرة ، وقد كفانا الله به والحمد لله على ذلك .

واعلم ان الظن فيك جميل ولولا ذلك ما أعطيتك خمسة آلاف مثقال، وسمحت بالمال الذي حمل البكم ابن عبد الواسع أولا وسلعة السفن أخيرا، وبهذا كله تستدل على صفاء السريرة وصالح النية ، والله سبحانه يعلم ذلك ، وأما الامتعاض من عدم الانة القول وحسن الخطاب ، فكما قـال تعالى : « وقولوا للناس حسنا » وانك لم تبلغ ولو نصف ما خاطب بـه الائمـة

رضوان الله عليهم أهل زمانهم اتكالا على علمنا به ، وحسبي نصح الفضيل ابن عياض وسفيان ومالك رضوان الله عليهم فهذه المسألة حسبي في الجواب منك انتهى ما وقفنا عليه من هذه الرسالة وهي دالة على براعة الرجل فقها وأدبا وكمال مروءة وعلو همة رحمه الله وغفر ذنوبه

استيلاء نصارى الاصبنيول على المعمورة ونهوض ابى عبدالله العياشي

لجهادهم وانتقاض أهل سلا على السلطان زيدان رحمه الله

قد قدمنا في أخبار الوطاسيين ما كان من استيلاء البرتقال على المعمورة المسماة اليوم بالمهدية ومقامهم بها سنين قلائل ثم جلائهم عنها ، ثم لما استولى الاصبنيول خذله الله في هذه المدة على العرائش كما مر طمحت نفسه الى الاستيلاء على غيرها وتعزيزها باخيها ، فرأى أن المهدية أقرب اليها فبعث اليها الطاغية فليبس الثالث من جزيرة قادس تسعين مركبا حربية فانتهوا اليها واستولوا عليها من غير قتال لفرار المسلمين الذين كانوا بها عنها هكذا في تواريخ الفرنج .

وقال شارح « الزهرة » كان نزول النصارى بمرسى الحلق سنة اثنتين وعشرين وألف وقيل سنة ثلاث وعشرين بعدها وقيل غير ذلك ، وكان عدو الله الاصبنيول أراد أن يضمها الى العرائش ليتضبط له ما بينهما من السواحل وتتقوى عساكره بهما فخيب الله ظنه ، ولقي من أهل الاسلام عرق القربة ، وكان ابو عبد الله العياشي بعد رجوعه من آزمور وسلامته من اغتيال قائد زيدان دخل سلا في نحو أربعين رجلا وزار ضريح شيخه أبي محمد بن حسون وبات عنده ، فجاءه أهل سلا وذكروا له ماهم فيه من الخوف من نصارى المعمورة ، وان مسارحهم قد امتدت الى الغابة وان النصارى ألفان من الرماة سوى الفرسان فامرهم بالتهيىء اليهم .

وفي « نشر المثاني » ما نصه : وفي أواخر جمادى الثانية سنة ثلاث

وعشرين وألف أخذ النصارى المهدية فكتب أهل سلا الى السلطان زيدان فبعث اليهم أبا عبد الله العياشي الذي كان مقدما بوكالته على الجهاد بدكالة ، وهو يقتضي أن مجيء العياشي الى سلا كان باذن السلطان لا فرارا منـــه ، والاول أصح اللهم الا أن يكون مجيئه فارا كان بعد هذا التاريخ والله أعلم.

وأمر أبو عبد الله العياشي أهل سلا بالتهيء للغزو واتخاذ العدة فلم يجد عندهم الا نحو المائتين منها، وكانت السنون والفتن قد أضعفتها، فحضهم على الزيادة والاستكثار منها ، فكان مبلغ عدتهم بما زادوه زهاء أربعمائة ، ثم نهض بهم الى المعمورة فصادف بها من النصارى غرة فكانت بينه وبينهم حرب قربها الى أن غربت الشمس ، فقتل من النصارى زهاء أربعمائة ، ومن المسلمين مائتان وسبعون ، وهذه أول غزوة أوقعها فــي أرض الغرب بعد صدوره من ثغر آزمور ، ومنها أقصرت النصارى عن الخـــروج الى الغابة ، وضـــاق بهم الحـــال

ثم أن السلطان زيدان لما بلغه اجتماع الناس على سيـــدي محمـــد العياشي بسلا وسلامته من غدرة قائده السنوسي بعث الى قائده على عسكـــر الاندلس بقصبة سلا المعروف بالزعروري ، وأمره باغتياله والقبض عليـــه ، فتاوض الزعروري أشياخ الاندلس في ذلك ، فاتفق رأيهم على أن يكـــون مع العياشي جماعة منهم عينا عليه ، وطليعة على نيته ، واستخبارا لما هو عازم عليه ، وما هو طالب له ، فلازمه بعضهم . وشعر العياشي بذلـــك فانقبض عن الجهـــاد ولـــزم بيتـــه .

ثم ان الله أوقع النفرة بين السلطان زيدان وبين أهـــل الاندلس ، وذلك أن السلطان المذكور كان قد بعث قبل ذلك الى القائـــد الزعروري أن يجهز الى درعة أربعمائة من أندلس سلا ، فجهزهم اليها وطالت غيبتهم بها ، فقر أكثرهم ونفرت قلوبهم عن الزعروري وسلطانه ، فكان زيـــدان يبعث الى أهل الاندلس بسلا بتجديد البعث الى درعة فيأبون الانقياد اليه في ذلك وكرهوه وأزمعوا على خلع طاعته ، ثم وشوا اليه بقائده الزعروري فبعث زيدان بالقبض عليه فقبض عليه ونهب أهل الاندلس داره ، وكتبـــوا

الى السلطان بذلك مظهرين طاعته مكيدة ونفاقا، فبعث اليهم مولاه وقائده المملوك عجيبا فمكث بين أظهرهم مدة فلم يعبأوا به وصاروا يهزأون به ، ثم عدوا عليه فقتلوه فظهر منهم شق العصا على السلطان زيدان ، وأظلم الجو بينه وبينهم ، وبقى أهل سلا فوضى لا والي عليهم ، وكثر النهب ، وامتدت أيدي اللصوص الى المال والحريم ، وسيدى محمد العياشي ساكت لا يتكلم، واستمر الحال على ذلك الى أن كان من أمره ما نذكره بعد هذا ان شاء الله .

انعطاف الى خبر عبد الله بن الشيخ بفاس والثوار القائمين بها وما تخلل ذلك

قد قدمنا ما كان من قدوم السلطان زيدان الى فاس أواسط سنة تسع عشرة وألف واستيلائه عليها ثم خروجه عنها واعراضه عنها وعن أعمالها الى آخر دولته ، وكان عبد الله بن الشيخ حياة أبيه الشيخ تحت أمره يصغى اليه ولا يقطع أمرا دونه ، وقيل انه خرج عن طاعته سنة عشرين وألف ولما قتل أبوه ببلاد الهبط كما مر استبد عبد الله هذا بفاس وما انضاف اليها على وهن وفشل ريح ، وكان غالب جنده من شراقة ، وشراقة هؤلاء هم عرب بادية تلمسان وما انضاف اليها ، وسموا بذلك لانهم في ناحية الشرق من المغرب الاقصى ، فأهل تلمسان وأعمالها يسمون أهل المغرب الاقصى مغاربة ، وأهل المغرب الاقصى يسمون أهل تلمسان وأعمالها مشارقة ، لكن العامة يلحنون في هذه النسبة فيقولون شراقة ، فكان غالب جند عبد الله من هؤلاء العرب ومن انضم اليهم فهم حماته وأنصاره وبهم كان يعتصم ، حتى أعطاهم أجنة الناس ودورهم ، فكان الرجل من أهل فاس يأتي بستانه فيجد الاعرابي بخيمته في وسطه فيقول له : «أعطانيه السلطان»

ومدوا أيديهم الى حريم الناس ونهبوا الاسواق وجاهروا بالفساد وأظهروا السكر في الطرقات ، واقتحموا على الناس دورهم ، حتى ان امرأة كانت تطبخ خليعا وولدها رضيع عندها فاقتحم عليها الدار أحد

شراكة فهربت المرأة وأغلقت عليها مشربية لها فلم يقدر لها على شيء فراودها على النزول فأبت ، فقال لها : « ان لم تنزلي رميت الولد في الطنجير » فتمادت على الامتناع فرمى به فيه ، فما هو الا أن رأت ولدها في وسط الطنجير صاحت وألقت بنفسها عليه ، فاندقت رقبتها وماتت ، فغاظ الناس ذلك وأعظموه .

وقام رجل منهم يقال له أبو الربيع سليمان بن محمد الشريف الزرهوني محتسبا على شراقة ، واعصوصب عليه كثير من العامة ، وقاموا بنصرته ، فقتل شراقة والتلمسانيين بفاس حيث وجدوا وحكم السيف في رقابهم ونفاهم عن فاس ، وحماها من اذايتهم وطهرها من رجسهم ، فاستحسن الناس أمره واذعنوا اليه

قال في « المرآة » : «وفي يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الاول ، يعني سنة عشرين والف ثار بفاس الشريف ابو الربيع سليمان ابن محمد الزرهوني ، وعضده الفقيه أبو عبد الله محمد اللمطي المعروف بالمربوع ، وتبعهما اهل فاس بأجمعهم ، واخرجوا من كان بها من جيش السلطان وقتلوا كثيرا منهم وجرت في ذلك خطوب آلت بعد سنين الى انقطاع الملك بفاس وبقي الناس فوضى الى الآن » اه كلام «المرآة»

وكان ابتداء أمر شراقة واشتداد شوكتهم سنة ست عشرة والف كانوا ادالة على أهل فاس نازلين بقصبة الطالعة وبقصبة اخرى وببعض الفنادق وقرب باب المسافرين ، الى ان قام عليهم الشريف ابو الربيع في التاريخ المتقدم ، وكان عبد الله بن الشيخ يوم ثورة ابي الربيع وفتكه بشراقة غائبا في سلا فلما بلغه الخبر قدم ورام ان يصلح بين أهل فاس وبين شراقة وراودهم على ذلك فقالوا : «لا . لا» فسميت تلك السنة سنة لا لا . ثم أمر ابو الربيع اهل فاس بشراء العدة والتهيء لقتال شراقة وخرج اليهم فاقتتلوا خارج باب الجيسة فانهزمت شراقة ، واستتب امر ابي الربيع وسكنت أحوال المدينة وامن الناس أمانا لم يعهد من زمان السلطان الغالب بالله

وفي يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الثانية سنة عشرين والف كانت

وقعة المترب ، موضع خارج باب الفتوح ، وسببها ان اهل فاس استغاث بهم اللالقة واستصرخوهم على شراقة مكيدة وحيلة فخرجوا في يوم شديد الريح وكمن لهم شراقة بخولان واغاروا عليهم بغتة ، فانهزم الناس وقتل من أهل فاس نحو الالفين .

وفي « نشر المثاني » سبعمائة فقط ، قال وجلهم هلك بالعطش ، وغلقت الابواب واضطربت المدينة ، وهاج الشر بسبب ذلك مدة ، ثم خرج أهل فاس مرة اخرى لقتال عبد الله بن الشيخ فهزموه واسروه ، وبقي في ايديهم فعفوا عن قتله واطلقوه ، وذهبوا خلفه حتى دخل داره من فاس الجديد

ولما قتل ابوه الشيخ سنة اثنين وعشرين كما مر . واتصل خبرمقتله بابنه عبد الله عزم على الاخذ بثاره من قاتليه اولاد ابي الليف ، وازمع المسير اليهم ،ووافقه على ذلك الشريف ابو الربيع والفقيه المربوع واصحابهما وامتنعت العامة من الذهاب معهم ، لان الشيخ لم تبق له في نفوس المسلمين مودة حيث باع العرائش للنصارى ، فاجتمعت العامة بجامع القرويين وقالوا : « لا نقبل سليمان ولا المربوع » وحاصوا حيصة حمر الوحش ، واتخذوا رؤساء آخرين فوقع بسبب ذلك شر عظيم ادى الى قتل الشريف مولاى ادريس ابن أحمد الجوطي العمراني التونسي ، وسبب ذلك ان منادى آبي الربيع مر ينادي في السوق باستنفار الناس مع عبد الله بن الشيخ ، فقام اليه الشريف مولاى ادريس وضربه بعصا وسبه ، فاقبل ابو الربيع ومن معه واقتحموا على مولاى ادريس دار القيطون وقتلوه على خصتها ، ولما كان صباح الغد من الغد قام ولد مولاى ادريس و شكا قضيته لعلماء فاس ، فامروه بالصبر . ثم التف عليه اهل العدوة وقصدوا دار ابي الربيع وناوشوه الحرب ، فرجعوا مغلولين وقتل بعضهم والأمر لله وحده ، ووقع الغلاء حتى بيع القمح باوقيتين وربع للمد ، وكثرت الاموات ، حتى ان صاحب المارستان أحصى من الاموات من عيد الاضحى من سنة اثنين وعشرين وألف الى ربيع النبوي من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة ، وخربت

أطراف المدينة وخلت المداشر ، ولم يبق بلمطة الا الوحوش ، وكثر النهب في القوافل

ولما كان المحرم فاتح سنة ست وعشرين والف قبض الشريف أبوالربيع على أربعة من كبار شراقة ثم قتلهم ، فوجم لها اللمطيون وخاف الناس على المدينة ، وتوقعوا الشر وعظم الرعب في القلوب حتى وقعت بسبب ذلك الهزيمة في كل مسجد من مساجد الخطبة بفاس ، وذلك انه كان امام جامع القرويين ذات يوم يخطب ، والناس في صحن المسجد ، فوقع شؤبوب من المطر غزير ، فابتدر من في الصحن الدخول الى تحت السقف ، فظن الناس ان ابا الربيع قد قصده شراقة فانهزموا وخرجوا من المسجد لا يلوى أحد على أحد ،فبلغ الخبر الى اهل جامع الاندلس فافقدوا بهسم ، وبلغ الخبر الى أهل الطالعة فكان كذلك ، وتتابعت الهزائم بالمساجد

وفي يوم السبت الخامس من صفر سنة ست وعشرين والف قتل الشريف ابو الربيع غدرا في جنازة رجل لمطى خرج اليها ، فقتله الفقيه المربوع ، وقتل اباه وابناء عمه وستة من اصحابه ، ودفن مع والده بمسجد الجرف ، ولما قتل ابو الربيع بقيت فاس في يد المربوع واعصوصب عليه اللمطيون ، واشتدت شوكته ، ثم قدم جمع من عشيرة ابى الربيع من زرهون وحاولوا الفتك بالمربوع ففطن بهم ووقع بينه وبينهم قتال هلك فيه نحو مائة وثلاثين رجلا وسلم المربوع منهما

وقال صاحب « معتمد الراوى » لما قتل ابو الربيع الزرهونى قام اخوه مولاى أحمد يطلب بثاره وساق معه نحو أربعمائة من الزراهنة واقتحم بهم فاس ، وقاتلوا الفقيه المربوع وشيعته من اللمطيين ، فالتف أهل فاس على المربوع وقاتلوا معه الشريف يدا واحدة ، فانهزم الشريف وقتل جل من معه ، وكاد يقبض عليه باليد ، ففر الى روضة سيدى أحمد الشاوى ، ومعه نحو الثمانين من اصحابه ، فتبعهم الفقيه المربوع في جمع عظيم من اللمطيين واقتحم عليهم الروضة ففر الزراهنة الى بيوت دار الشيخ فهجم عليهم المربوع بجنده وقتلهم أجمعين . ثم ان المربوع واللمطيين جاءوا برجل يقال

له عبد الرحمن الخنادقي كان يتعبد بزرهون فاستقدموه في جمادى الاولى سنة سبع وعشرين والف وراموا ان يملكوه ويجتمعوا عليه ، فانزلوه مع أصحابه في روضة الشيخ ابى الحسن على بن حرزهم ، واتصل الخبر بالقائد أحمد بن عميرة وزير عبد الله بن الشيخ فاتى وفتك باصحاب الرجل المذكور ، ولجأ هو الى ضريح الشيخ ابن حرزهم فرموه من طاق هنالك فقتلوه وسقط ميتا على القبر وبطل امره

ولما سئم اهل فاس من الفتن وكثرة الحصار وضاق بهم الحال من غارات الاعراب ذهبوا الى عبد الله بن الشيخ بفاس الجديد ونصروه واظهروا المحبة له ، ففرح بهم غاية ، وتحالفت العامة والخاصة على نصره والاذعان اليه ، فصفح عنهم وعفا لهم عما سلف ، وبعث وزيره الى المربوع بالامان فلم يأمن، وخاف على نفسه ، وصمم مع اللمطيين على قتال عبد الله وتهيأوا له حتى لم تصل الصلوات الخمس بالقرويين ، ثم ان القائد حمو بن عمرو وزير عبد الله أمر بان ينادي بامان اللمطيين ، ففر اللمطيون عن المربوع حينئذ حتى لم يبق معه الا قليل ثم بعث اليه عبد الله بسبحته وخاتمه أمانا فلم يأمن وفر ليلا الى بنى حسن فاخذه شيخهم سرحان واتى به الى عبد الله فعفا عنه ، وعادت دولة عبد الله الى شبابها ، واستتب امره وتمهدت له البلاد ، وذلك في جمادى الاولى سنة سبع وعشرين والف ، فجمع الجيوش وبعث بعض جنده لحصار تطاوين ، وبعضهم لقبض الاعشار ، وبعث وزيره حمو ابن عمرو مع المربوع لا رجين موضع من جبال الزبيب ، فغدر المربوع بالوزير وقتله اعتمادا على كلام سمعه من عبد الله فغضب عبد الله واسرها في نفسه ثم في يوم الاثنين ثالث ربيع النبوى سنة ثمان وعشرين والف قتل المربوع اللمطى ونهبت داره

وقال في « نشر المثاني » قتله عبد الله بن الشيخ ، وعلقه على البرج الجديد خارج باب السبع ، ثم انزله ولعبت عليه خيله ، ثم بعد ايام وظف عبد الله على اللمطيين ثمانين الفا فثقل عليهم أمرها فهربوا في كل وجه فاسقط عنهم نصفها ، والله تعالى أعلم

ثورة محمد بن الشيخ المعروف بزغودة(*) على أخيه عبد الله بن الشيخ وما وقع فى ذلك

قال في « شرح زهرة الشماريخ » لما رأى اهل بلاد الهبط ماوقع من افتراق الكلمة وتوقد الفتن بايعوا محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ، وكان الذى قام بدعوته الشريف ابو الحسن على بن محمد بن على بن عيسى بن عبد الرحمن الادريسي المحمدي اليونسي المعروف بابن ريسون ، وهى ام جده على نزيل تاصروت وبايعوه على الكتاب والسنة وعلى احياء الحق واماتة الباطل فلما بلغ خبره أخاه عبد الله خرج لقتاله ، فالتقى الجمعان بوادي الطين واقتتلوا فانهزم عبد الله وتقدم محمد الى فاس فدخلها واستولى عليها فى شعبان سنة ثمان وعشرين والف ، وقبض على بعض عمال عبد الله فقتلهم واستصفى اموالهم .

وفى آخر شعبان المذكور وقعت الحرب بينهما بمكناسة فانهزم محمد ودخل عبد الله فاسا فى مهل رمضان من السنة واظهر العفو عن الخاص والعام ، ثم قتل أهل فاس قائده ابن شعيب واخذوا حذرهم من عبد الله ثم وقع قتال بين اهل الطالعة واهل فاس الجديد ودام أياما عديدة حتى اصطلحوا تاسع رجب من سنة تسع وعشرين والف ، ثم ان عبد الله خرج لقتال أخيه محمد فوقعت المعركة بينهما بوادى بهت فانهزم محمد وفر شريدا الى ان قتله ابن عمه كما سياتى ان شاء الله

وفى يوم الجمعة خامس ذى القعدة من سنة اثنتين وثلاثين والف قتل

(*) فى النص المطبوع بفاس لنزهة الحادى ابن عودة وهو قريب التصحيف بزغودة فليحرر اه وقد ورد وصف ابن عودة بهذا اللفظ فى تقييد خطى فى تاريخ الدولة السعدية منسوب لسيدى عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي فظهر أن زغودة مجرد تصحيف .

الفقيه العالم القاضي ابو القاسم بن ابي النعيم بعد ان نزل من صلاة الجمعة بفاس الجديد فقتله اللصوص بباب المدرسة العنانية ، وفي ٥ نشر الثاني ، قتله اللمطيون بالزريطانة لانهم اتهموه بالميل الى عبد الله بن الشيخ فوقع بسبب قتله شر عظيم بين أهل العدوتين من فاس

ولم تزل عبد الله في معالجة اهل فاس فتارة يميلون اليه وتارة ينحرفون عنه لفساد سيرته وقبح طويته حتى كان قائده مامي العلج ينهب الدور جهارا ويعطى عبد الله كل يوم على ذلك عشرة آلاف مما ينهب من الناس من غير جريمة ولا ذنب

وقام عليه بمكناسة ايضا رجل يقال له الشريف آمغار وقام عليه بتطاوين المقدم ابو العباس أحمد النقسيس ولم يبق في يده الا فاس الجديد واما فاس القديم فتارة وتارة كما ذكرنا آنفا لانه استولى عليها الشريف ابو الربيع والفقيه المربوع ولما قتلا كما ذكرناه آنفا قام بفاس محمد بن سليمان اللمطي المدعو الاقرع وعلى بن عبد الرحمن فقتل ابن سليمان

وقام احمد بن الاشهب مع ابن عبد الرحمن المذكور فوقعت فتن وحروب ثم قام الحاج على سوسان وابن يعلى وتولى أيضا يزرور ومسعود ابن عبد الله وغيرهم من الثوار

وكانت فاس أيام هؤلاء على فرق وشيع لا يامن التاجر على نفسه الا ان استجار بأحد من هؤلاء ووقع من الفتن ما أظلم به جو فاس ونتن أفقها العاطر الانفاس ، وخلا أكثر المدينة واستولى عليها الخراب ودام الشر بين أهل العدوتين حتى كادت فاس تضمحل ويعفو رسمها

وحدث غير واحد من الثقات أنه لما دامت الحرب بين اهل العدوتين ولم يكن لاهل الاندلس غلبة على اللمطيين قال الشيخ ابو زيد عبد الرحمن ابن محمد الفاسي : لا يغلب احد اللمطيين ما داموا مواظبين على قراءة الحزب الكبير للامام الشاذلي رضى الله عنه ، وكانت طائفة من اللمطيين يقرأونه كل صباح بزاوية سيدى رضوان الجنوى من عدوة اللمطيين فسمع لذلك اهل عدوة الاندلس فاحتالوا على إبطال قراءة ذلك الحزب بان بعثوا

أحدا فاحتال على أولئك الذين يقرأونه فاستضافهم فباتوا عنده جميعا في منزله فلما طلع الفجر او كاد زعم ان مفتاح الدار قد سقط منه وتلف ولم يزل يعاني فتحها الى ان طلعت الشمس فخرجوا ، ولم يقرأوا الحزب ذلك اليوم ، واخبر اهل الاندلس بذلك فحملوا على اهل عدوة المطيين فهزموهم وتحكموا فيهم مع انهم كانوا لم يجدوا اليهم سبيلا قبل ذلك ببركة حزب الشاذلي رضي الله عنه

وذكر بعضهم ان سبب هذه الفترة : ما حكي ان عبد الله بن الشيخ عزم على التنكيل بأهل فاس في بعض غلباته عليهم أيام خروجهم عليه ، فاستشفعوا اليه بالصالحين المجذوبين : سيدي جلول بن الحاج ، وسيدي مسعود الشراط ، وكان من الملامتية ، فلما وقفا بين يديه قال : « أما وجد أهل فاس شفيعا غير هؤلاء الخرابين في ثيابهما ؟ » فغضب سيدي جلول وقال : « والله لا تصرف فيها ـ يعني فاسا ـ أحد اربعين سنة » ، وانصرفا ؟ فيقال : ان عبد الله بن الشيخ انقلبت معدته فخرج غائطه من فمه أياما الى ان أتى بالشيخين فاسترضاهما ، فكان امر فاس كما قال سيدي جلول لم يطأطىء رؤوس أعيانها سلطان الى ان جاء الله بالمولى الرشيد بن الشريف السجلماسي رحمه الله كما سيأتي ، وانما كان يتصرف فيها رؤساء أهل فاس الذين يسمونهم السياب ، قال اليفرني : «وهذه حكاية صحيحة سمعتها من غير واحد بفاس » ملخصها ما ذكرنا

ولم يزل عبد الله في محاربة أهل فاس القديم من سنة عشرين والف الى ان توفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنين وثلاثين والف بسبب مرض اعتراه من اسرافه في الخمر وادمانه عليه وكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا ويتعاطاه سرا وجهارا

قال في شرح « زهرة الشماريخ » : «ولما توفي عبد الله ولي بعده اخوه عبد الملك في شعبان سنة اثنين وثلاثين والف ولم يزل مقتصرا على ما كان قد صفا لاخيه الى ان توفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين والف

ومن آثار عبد الله بن الشيخ : القبة التي على الخصة الكائنة اسفل

المنارة التي بوسط صحن جامع القروين : فانه لم يكن في القديم الا الخصة المقابلة لها شرقي الجامـــع المذكور

– غريبـــة –

قال اليفرني : حدثني شيخنا الفقيه ابو الحسن على بـــن أحمد قـــال : « كان شيخ شيوخنا الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن أحمد ميارة يقول : ان احمد بن الاشهب الذي تقدم ذكره قبل في الثوار اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قال : والحديث بذلك مذكور في كتاب الجامع الكبيـــر للحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله » اه وقتل ولد ابن الاشهب رابع جمادى الاولى سنة خمس واربعين والف فتك به على بن سعد في جامع القروين وهو في صلاة العصر ، وقامت بسبب ذلك حرب بيـــن اهـــل الاندلـــس واللمطيين ، وانتهبت السلع التي بسوق القيسارية وسوق العطارين وبنـــى اللمطيون الدرب الذي بباب العطارين واستمرت الحرب نحو ثمانيـــة أيـــام ثم اصطلحوا

ثورة ابي زكرياء بن عبد المنعم بالسوس ومغالبته لابي حسون السملالي المعروف بأبي دميعة على تارودانت

كان الفقيـــه أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعـــم الحاحي لما رجع من مراكش الى السوس حسبما مر بدا له في طلب الملـــك وجمع الكلمة لما رأى من افتراقها في حواضر المغرب وبواديه

وكان المرابط ابو الحسن على بن محمد بن محمد بن الولى الصالـــح ابى العباس أحمد بن موسى السملالى ويقال له ايضا : ابو حسون قد ظهـــر بالصقع السوسى عند قتل ربيع السلطان زيدان به واستولى عـــلى تارودانت واعمالهـــا .

فلما ثار الفقيه ابو زكريـــاء سار الى تارودانت فتغلب عليها وملكهـــا من يد ابي حسون المذكور وبعد ان وقع بينه وبينه معارك ومقاتلات كثيرة ،

وكان القاضي بتارودانت يومئذ الفقيه العالم ابو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ، وكان أبو زكرياء قد استشاره فيما عزم عليه فلم يوافقه على ذلك ولم يساعده على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب ، فغضب عليه الفقيه ابو زكرياء حتى أمر بقتله غيلة فيما قيل ، فخرج القاضي من المدينة خائفا يترقب ، وذهب الى مراكش فاستقر بها وعصمه الله منه وكتب الى أبي زكرياء برسالة يعظه فيها وينهاه عن الخروج على السلطان ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يقول الفقير الشديد الحاجة الى رحمة مولاه الغني به عمن سواه ، السائل منه التوفيق واللطف في ظعنه ومأواه ، كاتبه عيسى بن عبد الرحمن السكتاني عفا الله عنه وسمح له: الحمد لله الذي جعل الصدع بالحق وظيفة الانبياء ، واورثه بعدهم من خلقه فريق العلماء ، والصلاة والسلام على من أكد امر الصلح وقال : «الدين النصيحة» فقيل : لمن يارسول الله ، فقال : « لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم » والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيله وانتهجوا من المناهج طريقه ، وعن التابعين وتابع التابعين لهم الى وقوع القصاص بين الخليقة ، وبعد ، فاني لما قفلت بحمد الله بسلامة وعافية الى جبلي وجدت أهلي واولادي ، مستوحشين من البادية وان كانت محل سلفي ومقر تلادي ، بعد أن ألفوا الحواضر وطبعوا على طباعها فكانوا أحق بها ، وكنت في غاية الضيق والتأسف لما حل بالاولاد فتذكرت قول بعض فقهاء الاندلس ممن نابه مثل ما نابني واصابه مثل ما اصابني :

أليس من القبيح مقام مثلي ... بدار الخسف منكسف الجمال

أخالط أهل سائمة وسرح ... وأرتع بين راعية الجمال

فاجلت فكري ، وان كان الكل بقدر الله وارادته ، فرأيت أن ذلك ، وفي القضاء لطف ، أمر انتجه ، كما لا يخفى على ذي بصيرة ، ما حل بالمغرب من افتراق الكلمة ، وتلاعب شياطين الانس والجن بذوي العقول منهم فصاروا أحزابا وفرقا ، فاتبعت كل طائفة من هواها ما كانت تعبد ،

حتى اذا عرض لعاقل أو عرض عليه منهم الاقلاع بادره الشياطين فسدوا عليه بابه ، وأزوه باغوائهم وزينوا لــه أن ذلك يشينه لدى العامة ويوجب له السقوط من أعين الناس ، مع انه لا يســد من السقوط الا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ، وأيــن يغيب عن الموفق ان السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى ، وأين غاب عنــه أن العبرة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا بكلام الهمـــج الرعاع ممن لا يزال الشيطان يلعب به آخذا بزمامه ساكنا على قلبه ولسانه ، وأين يغيب عنه من كتاب الله : « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ؟ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنـــة هي المأوى » فقلت : انا لله وانا اليه راجعون هـــذه مصيبةعظيمـــة نزلت بمغربنا فافترق ملأهم وقتلت سرواتهم وانتهبت أموالهم وهتكت حرمهــم ومزقت أعراضهم وفسدت أديانهم واختلت وبدت عن التوفيق آراؤهـــم وكادت تضمحل بل طمعت فيهم أعداؤهم اللهم ياذا الطول والامتنان ياحنـــان يامنان ياذا الجلال والاكرام تداركنا بألطافك الخفية في ديننا ودنيانا ياخالـق الارض والسمـــاء .

فان قلت : ما ذكرته من أن خروجك من الحواضر الى البوادي هـــو نتيجة افتراق الكلمة كما فعله من يقتدى به من الصحابة رضي الله عنهـــم فتبدى صحيح ، وما دليلك على التلاعب ؟ قلت : ما خرجه أئمة الصحاح من منع الخروج على الائمة وان الواجب في حق من رأى منهم ما يكـــره الصبر والاحتساب اذ غائلة الجور ، وان تفاحش ، أقل بكثير من غائلـــة الخروج الذي يترتب عليه فساد المهج والاموال والاعراض والاديان وهتك الحرم ، ولهذا صبر على الحجاج من علماء الصحابة والتابعين من صبر حتى لقوا الله تعالى سالمي الاديان ، وبعاداته مقتضي الزمان ، وتذكر ، فما بالعهد من قدم ، بالمرابط أبي محلي كان في قطره عالي الصيت يقصد ويتبرك بــه ويعتقد فيه انه قطب زمانه ، وبلغ به الحال الى أن سولت له نفسه أو سول لها انه يصلح به مالم يصلح بغيره من أهل الزمان فقام وأعانه عليــه قـــوم

آخرون حتى ملأ الدنيا صياحا ودعاوي وعياطا وأكاذيب لا يشهد لهـا عقل ولا نقل فتمرد على المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ويده ، فقتل ونهب وسب واغتاب وحمل نفسه مالا تطيقه فاستهوته شياطين الانس والجن والنفس والهوى ، ثم بعد ذلك كله لم يحصل من سعيه على طائل وآفته الغفلة عن الكتاب والسنة والرضا عن النفس حتى أنه حكمها فصارت تلعب به الى أن فاه وادعى بدعاوى استبيح بها ما كان معصوما من دمه ، وهلكت بسببه بعمده نفوس وأموال وغير ذلك ، أيشك من ارتاض بالكتاب والسنة ونظر بعين الشريعة ان فعله ذلك مما حمله عليه من تجب مخالفته من الشيطان والنفس والهوى ؟ وربما استحسن فعله ذلك من شيعته من ابتلى به أو قلده تقليدا رديا في فعله ، فان تولت فانما عليك اثم الاريسيين ، والى الآن كانوا يستصوبون فعله ويستحسنون قوله مع انه بمعزل عن الكتاب والسنة .

فان قلت : وهذه طائفة الفقراء ما بين متعصب متحزب ومتحيل متصيد ومتستر على ما استأثر به البارى من الغيوب مرتكب للآثام مصر على العيوب ، قلت : وهذه طائفة الفقراء فيها جل ما تقدم وزيادات تضيق عن الاحاطة بها السطور والطروس قد بدلتها ، والعياذ بالله ، الفتن ، وشردها ما تخوفته من المحن ، بانت العلوم واضمحلت الفهوم وتعطلت الرسوم فلا منطوق يذكر ولا مفهوم ،

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود

قلت : وهذا الشيخ أبو زكرياء ، وهو الذي باق الى نصحته الحديث ، كنا نستقي به ونستشفي ، وكانت تشد اليه الرحال ولا يأنف من اتيانه النساء والرجال ، قد أتته من أقطار مغربنا الوفود ، ودانت له الذئاب والاسود وكان يعلم الجهال ويهدي الضلال ، ويطعم الجائع ويكسو العريان ، ويعين ذا الحاجة ويغيث اللهفان ، وهي سبيل يالها من سبيل ، وطريقة ما أحسنها من طريقة ، ثم صارت تلك الجموع ، وكان أمر الله قدرا مقدورا ، أيدي سبا ، وتلاشت شذر مذر ما لها من نبا .

أيها الشيخ أكرمك الله بتسديده ، أو تجد في الوجود ملكا أعظم من ذلك الملك فتطلبه ، أو سلطانا يوازيه أو يقاربه فتحاوله ، أين خفي عليك الشيء وهو ضروري ؟ أم أين ضلت عنك النصوص من الكتاب والسنة وأنت منقولي معقولي ؟ « الم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق؟ » ، « لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم » « وان أبغض الكلام الى الله أن يقول الرجل للرجل : اتق الله فيقول : عليك نفسك » وهو طرف من حديث خرجه النسائي : قد وعظتك وذكرتك ان نفعت الذكرى . قال جل من قائل « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام

فان قال شيطان من شياطين الانس أو الجن : هذا ما أريد به وجه الله ، قلت : الله الموعد ، اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وان خطر هذا وهجس بقلب الشيخ أكرمه الله، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، قلت : ادل دليل على اني قصدت محض النصيحة . هو انه استصحبني على دفاع أبي محلي فنصحته وقلت له: ان هذا لا تستقيم معه الديانة فكأنه ما قبل فانفصلت عنه وهو يقول : استخر لي الله فكاتبته بان لا يفعل ، ثم لما نزل وكان على باب الغزو من تارودانت خلوت به فقلت له اذ ذاك : ان الناس يقولون كذا وكذا وعرفته اذ ذاك بما عرفته من أبناء الزمان ، فجمعنا في رملة الى الآن أتخيل حرها ، وتبرأ من كل ما يقال ، وما زلت على المنع الى أن جاءت كراريس من قبل أبي محلي فتأملتها فوجدتها مشتملة على كفريات في جزئيات ، فحينئذ شرح الله صدري لاباحة دفاعه .

ثم وان قلت ذلك ، فنفسي آمرة ولا أقول في نفسي ما كان يقوله سحنون في قضية ابن ابي الجواد : « مالي وله الشرع قتله » ولو قلت أو غششت لغششت في قضية ذلك الرجل وزينت لك قتاله أولا لان ذلك هو مقتضى التعصب للامير واذ لم أتعصب اذ ذاك فكيف أستسهله الآن ، فتعين أني نصحت لكم ان قبلتم ، والا فكما قال تعالى عن نبي من أنبيائه : «ولكن

لا تحبون الناصحين» أنشدك الله الذى باذنه تقوم السماوات والارض أما قلت لك بعد رجوعي العام الاول من مراكش بل الذى قبله : ان الغدر لا يحسن ؟ وصرحت ولوحت بان شق العصا لا يحل غير مرة ؟ وما كفاني القول الدال على ذلك الى أن زدت الفعل بالخروج من مدينة لا أبغضها كما قال :

فوالله ما فارقتها عن قلى لها وانى بشطي جانبيها لعارف

ورضيت بالبادية ، مع جفائها ، فرارا من الفتن ، وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنما يتبع به سعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » . بعد ، فعلى هذا كله ، نصحت فلم أفلح وخانوا فافلحوا ، وعدوا على من بلغ طاعتي للائمة مع انك يوم جاء الى دارك قلت لهم : « هذا أميركم » ، ونحن لا نشك أنك من المعتبرين في مغربنا وان بيعتك لاحد لازمة لنا ، وكذلك حين ذهبت الى مراكش في وقعة أبي محلي قد أراد أهل مراكش فابيت ، وأبحت البلاد لخدم الامير وقلت لهم : انه الامير ، وفهمه الناس عنك بلسان الحال وبلسان المقال ونصروه بمرأى منك ومسمع ، أفتنكث بعد أن كان منك هذا انك مبايع وانت قدوة ؟ واذا كان هذا فاى حجة لك على الامير ولا على المأمورين ؟ فمن زين لك قتاله فقد غشك اذ هو مسلم وابن مسلمين .

فان قلت : موافقتي مشروطة بشروط لم يوف لى بها ، قلت : هب انه لم يوف لك أفتستبيح قتاله لاجل ذلك ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار » الحديث . فبالله أيها الشيخ ما تقول في هذا الحديث وأنظاره ؟ وما تقول فيما انتهب أو عسى أن ينتهب من أموال الناس وأخذ بغير حق وأنفق في سبيل الطاغوت والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل مال امرىء مسلم الا عن طيب نفس » ؟ أو ما تستحيى من ربك يوم تسأل عن النقير والقطمير ، ولست ممن خفى عليه ذلك كله فتعذر عند المخلوقين ؟ أوما علمت أن كثيرا من العوام يعتقد جواز ذلك اذ رآك ارتكبته فتكون قد

سنتت هذه السنة وضل بسبب ذلك كثير من الناس ؟ أوما خشيت دعـوة المظلوم التيما بينها وبين الله حجاب ؟ أو ما كنت تعير من يرتكب مثل ذلك من الولاة وتأسف عليه ؟ « لا تعير أخاك المؤمن » الحديث

لا تنه عن خلق وتأتي مثلــه عار عليك اذا فعلت عظيـم

أما انتبهت لما وقع لاهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الاحـرار وهتك الحرم ؟ « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » الحديث . وقد أتانا السؤال من قبل الشيخ عن صنيع سكانة ذلك ولم يستطع اذ ذاك من نظر بنور العلم أن يقول لهم في وزر نظرا الى ما آل اليه الحال فـي اهل درعة مع أن جلهم حملة القرآن وعامتهم بله ، وأكثر أهـل الجنـة البله » . أفيليق بحق الصلحاء أن يسلط عليهم من لا يرحمهم ؟ « ولا تنزع الرحمة الا من قلب شقي » « انما يرحم الله من عباده الرحماء » « مـن لا يرحم لا يرحم » « ارحموا من في الارض يرحمكم مـن في السماء » أونسيت أنه يقتص للجماء من القرناء ؟ وان الظلم الذي لا يتركه اللـه ظلم الناس بعضهم لبعض ؟ أفي علمك أن حسناتك تفـي بمـا عليـك من التبعات ؟ او انه لا تباعة لاحد عليك ؟ ولو كنت بدريـا لاحتمل أن يقـال في شأنك : ما قاله صلى الله عليه وسلم لعمر : وما يدريك لعل الله اطلـع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟ » أو كما قال عليه السلام، « والظلم ظلمات يوم القيامة » أو تستطيع أن تقتحم ظلمات الصراط وأنت مسئول عن القيراط ؟ وحتى أهل تاروردانت بلغنا انه لم يغن في شأنهم الترويع بل بلغ بهم الحال والجور الى التقريع ، فاتق الله أيها الشيخ ولا تكن كمن اذا قيل له : « اتق الله أخذته العزة بالاثم » هذا ما يتعلق ببعض حقـوق الناس على العموم ويتعلق بحق كاتبه على الخصوص ، انك أخذت عليـه أن يؤدي الطاعة للامير ويرعى ما هو من شيم المؤمنين من حسن العهـد والتبري من الغدر وشق العصا بعد ان بـذل وسعه في نصحـك ونصـح الامير ، وحاول بكليته على جمع الكلمة وتعب في ذلك واقتحم فيـه عقبات لا يقطعها الا بازل ، ولا سبيـل اليها لمن يكـون في دينه وعمله مـتـلي

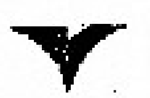
ممن هو نسازل :

لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم
اذا غاب ملاح السفينة فارتمت بها الريح هوجا دبرتها الضفادع

ولكن ليس من شرط النصيحة كمال الناصح كما انه ليس من شرط تغيير المنكر عدم ارتكاب المغير ما غير ، لان هذه طاعة وتلك أخرى ، والتوفيق بيد الله سبحانه ، نعم بلغني مع ذلك وجزم لي به أنك مع بذل النصح لك وللامير أصلح الله الجميع وأصلح ذات بينهم أخذت على بالرصد في قفولي لعيبتي والرجوع اليهم رعاية لما يجب ويندب من حقوقهم ، وهل هذا الا حكم الهوى والشيطان ، أعندك ما تستبيح به ذلك ؟ مع أني والحمد لله أينما كنت لا أسعى الا في مصلحة بجهد الاستطاعة أو بث نصيحة حين لا أرى من بثها ، أو اغاثة ملهوف حين تجب اغاثته ، « لئن بسطت الى يدك لتقتلني » الآية ، ولكن الله عزوجل يقول : « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » وفي التوراة : « من حفر حفرة فليوسعها » ولا تحفرن بئرا تريد بها أخا ، فاين وجدت ما يسوغ لك ارتكاب مثل هذا قولا او فعلا او اشارة أو تصريحا او تلويحا ؟ وا ى جريمة توازى هذه الجريمة ؟ او كبيرة من الآثام أكبر منها ؟ والله الموعد ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » هذا ، والسعاية المصحوبة بسؤالى عن دفاع سكانه أين تجدون ما يوجب اباحتها ؟ أين غاب عنكم انها من الكبائر ؟ وأين غاب عنكم قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل ليتكلم بكلمة يهوى بها في النار سبعين خريفا ؟ » أهذا من اخلاق المومنين والصالحين ؟ وانت ممن بيت الصلاح ، ما كان جدك يرضى مثل هذا « وما كان أبوك امرأ سوء » وهذا والله اعلم نتيجة قرناء السوء ، ولا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله ، والى هذا ينتهى حق الصحبة اعنى بذل النصح ، ان الله يسأل عن صحبة ساعة ونحن صحبناك واعتقدناك ونصحناك ووعظناك « انصر اخاك ظالما او مظلوما » فنصرناك بالرد الى الجادة ، اين انت من مولانا

الحسن بن علي اذ تخلى عن الامر لابن عمه معاوية مع انه هاشمي علــوى فاطمي احدى ريحانتي النبي صلى الله عليه وسلم ومعاوية اموى يجمعهمـا عبد مناف ؟ فتخلى عن الامارة مع انه امام وابن امام واصلح الله به ، وهــو سيد ، بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، بعد ان كان يلقب بامير المومنين ، فقال له بعض اصحابه اذ سلم عليه : «ياعار المومنين» فلـم يكترث بذلـك وقال : «النار أشد من العار» ألهمنا الله واياكم رشد انفسنا وجعلنا واياكـم من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه : انتهى

ولم يزل الفقيه أبو زكرياء مصمما على طلب جمع الكلمة الى ان اخترمته المنية : قال صاحب الفوائد ما صورته : قام الشيخ ابو زكريا بجمع الكلمـة والنظر في مصالح الامة واستمر به علاج ذلك الى ان توفي ولم يتم له أمر انتهى ، وكانت وفاته ليلة الخميس سادس جمادى الثانية من سنـــة خمس وثلاثين والف بقصبة تارودانت وحمل من الغد الى رباط والـده فدفــن بجنبه رحمه الله



بقية اخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمه الله

قد ذكر المؤرخ لويز البرتقالي في كتابه الموضوع في اخبار الجديدة شيئا من أخبار السلطان زيدان رحمه الله فقال : «كان السلطان زيدان صاحب مراكش مسالما لنا كافا عن حربنا وكانت القبائل تفتات عليه في غزونا فكانت غاراتهم لا تنقطع عنا ، وكان هو ايضا معهم في شدة ومكابدة من اجل اعوجاجهم عليه » ثم ذكر ان من جملة من غزاهم في دولته السيد سعيد الدكالي قلت : واظنه والد السيد اسماعيل صاحب الزاوية المشهورة ببلاد دكالة ، قال : فنهض سعيد بحال وغيرة وامتعاض للاسلام وسار الى الجبل الاخضر وغيره فجمع الجموع نحو اثني عشر الفا وزحف بهم الى الجديدة ، ووافقه على ذلك قائد آزمور وبعض أشياخ الشاوية ، وكانوا في نحو مائتين وخمسين من الخيل ، وارتاع النصارى منهم وخافوا خوفا شديدا ، ولامرهم قائدهم بالجد في حراسة الاسوار والانقاب ، وان يسدوا باب الجديدة ولا يفتحوا منه الا خوخته ، وحاصرهم المسلمون ثلاثا ثم قضى الله بوفاة السيد سعيد فافترق ذلك الجمع . قال لويز : « مات أسفا على ما فاته من القتال بالنصارى كما يحب »

وفي سنة أربع وثلاثين والف خرج السلطان زيدان من مراكش وقصد ناحية آزمور ولما انتهى الى الموضع المعروف بام كرس من بلاد دكالة حمل اليه نصارى الجديدة هدية نفيسة ، ثم قدم ثغر آزمور في نحو اربعين الفا من الخيل على ما زعم لويز ودخل البلد ، واخرج أهل آزمور عدة مدافع من البارود فرحا به ، ولما سمع نصارى الجديدة بذلك اخرجوا مدافعهم ايضا فرحا بالسلطان وادبا معه

وفي سنة ست وثلاثين والف ثار على السلطان زيدان الفقير ابراهيم كانوت هكذا سماه لويز ، ولم ادر من هو ، قال : وفي خامس عشر

من دجنبر من السنة توافف جيش الثائر المذكور مع جيش السلطان للحرب ببلاد دكالة ، وكان جيش السلطان يومئذ الفا وخمسمائة فقط ، وجعل على مقدمته ابنه عبد الملك ، فانهزم ابراهيم وقتل،وقتل جماعة كثيرة من اصحابه وقبض على ولده فبعثه السلطان مع عدد وافر من رؤوس اصحابه الى مراكش واخرج نصارى الجديدة المدافع ايضا فرحا بهذا الخبر ، فبعث اليهم السلطان زيدان بفرس احمر لقائدهم اكراما له ، وكتب اليهم بكتاب تاريخه سادس رمضان سنة ست وثلاثين والف مكافاة لهم على اديهم معه ، انتهى كلام لويز وقال اليفرني رحمه الله: «كان السلطان زيدان من لدن مات ابوه المنصور وبويع هو بفاس في محاربة مع اخوته وابنائهم ومقاتلة مع القائمين عليه من الثوار الذين تقدم ذكر بعضهم ، ولم يخل قط في سنة من سني دولته من هزيمة عليه او وقيعة باصحابه ، ووقعت بينه وبين اخوته معارك يشيب لها الوليد ، وكان ذلك سبب خلاء المغرب ، وخصوصا مدينة مراكش ، ومما عد من نحس زيدان واستدل به على قشل ريحه انه في بعض الوقائع بعث كاتبه عبد العزيز بن محمد الثعلبي بعشرة قناطير من الذهب الى صاحب القسطنطينية العظمى وطلب منه ان يمده ببعض اجناده كما فعل مع عمه عبد الملك الغازي ، فجهز له السلطان العثماني اثني عشر الفا من جيش الترك وركبوا البحر فلما توسطوه غرقوا جميعا ولم ينج منهم الا غراب واحد فيه شرذمة قليلة »

وقال منويل : ان قراصين الاصبنيول غنمت في بعض الايام مركبا للسلطان زيدان فيه أثاث نفيسة من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والادب والفلسفة وغير ذلك

قال اليفرني : « وكان زيدان غير متوقف في الدماء ولا مبال بالعظائم

(*) قضية اخذ الاصبان لكتب زيدان شهيرة في كتب الافرنج وتواريخهم فلتراجع فيها ولا بد والكتب لا زالت محفوظة بخزانة الاسكيريال قرب مادريد وقد دعت الحكومة الاصبانية في وقتنا هذا وهو ١٣٤٢ احد الفرنسويين لعمل برنامج لها

قلت : وهو مخالف لما اذكره زيدان في رسالته التي خاطب بها ابا زكرياء المتقدمة من انه ما سعى في قتل احد الا بفتوى اهل العلم والظن بزيدان انه ما قال ذلك الا عن صدق ، والا فمن البعيد ان يفخر على خصمه ويدلي بشيء هو متصف بضده

وكان زيدان فقيها مشاركا متضلعا في العلوم،وله تفسير على القرآن العظيم اعتمد فيه على ابن عطية والزمخشري

قال اليفرني : « وكان كثير المراء والجدال كما وقع له مع الشيخ ابي العباس الصومعي » قلت : الذي وقع له مع الصومعي هو انه لما الف كتابه الموضوع في مناقب الشيخ ابي يعزى رضي الله عنه وسماه «المعزى» بضم الميم وفتح الزاي بصيغة اسم المفعول من الرباعي عارضه زيدان ، وهو يومئذ يتادلا واليا عليها من قبل ابيه ، بانه لم يسمع الرباعي من هذه المادة وانما قالت العرب : عزاه يعزوه ثلاثيا ، فاصر ابو العباس رحمه الله على رأيه الى ان لطمه زيدان على وجهه بالنعل ، فشكاه الى المنصور فقال له : لو لطمك وهو المخطيء لعاقبته اما اذا كان الصواب معه فلا

قلت : كان زيدان يومئذ في عنفوان الشبيبة فصدر منه ما صدر

فان يك عامر قد قال جهلا   فان مظنة الجهل الشباب

ومع ذلك فما كان من حقه ان يفعل ، واظن ان انتكاس رايته سائر أيامه انما هو أثر من آثار تلك اللطمة ، فان لله تعالى غيرة على المنتسبين الى جنابه العظيم ، وان كانوا مقصرين ، فنسأله سبحانه ان يجنبنا موارد الشقاء ويسلك بنا مسالك الرفق في القضاء ، وللسلطان زيدان شعر لا بأس به منه قوله :

فتنتنا سوالف وخدود   وعيون مدعجات رقود
ووجوه تبارك الله فيها   وشعور على المناكب سود
أهلكتنا الملاح وهي ظباء   وخضعنا لها ونحن اسود

وقوله :

مررت بقبر هامد وسط روضة   عليه من النوار مثل النمارق

فقلت لمن هذا فقالوا بذلة ترحم عليه انه قبر عاشق

وكانت وفاته رحمه الله في المحرم فاتح سنة سبع وثلاثين والف ، ودفن بجانب قبر أبيه من قبور الاشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش ومما نقش على رخامة قبره قول القائل :

هذا ضريح من بنه تفتخر المفاخر
حامي حمى الدين بكل ذابل وباتر
لا زال صوب رحمة الله عليه ماطر
أرخ وفاة من غدا جارا لرب غافر
زيدان سبط أحمد مبتكر المآثر
أجل من خاض الوغا وللاعادي قاهر
ومن شذا رضوانه نفحة كل عاطر
بمقعد الصدق علا أبو المعالي الناصر

ووزراؤه: الباشا محمود ، ويحيى آجانا الوريكي وغيرهما ، وكتابه : عبد العزيز الفشتالي كاتب ابيه ، وعبد العزيز بن محمد التغلبي وغيرهما ، وقضاته : ابو عبد الله الرجراجي وغيره ، وترك عدة اولاد منهم : عبد الملك والوليد ومحمد الشيخ ، وهؤلاء ولوا الامر بعده ، وأحمد وغيرهم رحم الله الجميع

الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك بن زيدان رحمه الله

لما توفي السلطان زيدان رحمه الله في التاريخ المتقدم بويع بعده ابنه عبد الملك ، ولما تمت له البيعة ثار عليه أخواه الوليد واحمد فوقعت بينه وبينهما معارك وحروب الى أن هزمهما واستولى على ما كان بيدهما من العدة والذخيرة ، وفر احمد الى بلاد الغرب فدخل حضرة فاس يوم الجمعة الخامس والعشرين من صفر بعد وفاة أبيه بستة واربعين يوما فاتسم بسمة

السلطان وضرب سكته ، وفي ثالث عشر شوال من السنة عدا على ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغودة فقتله غدرا بالقصبة ، ولما كان الحادى عشر من ذى الحجة سنة سبع وثلاثين والف أخذ احمد المذكور وسجن بفاس الجديد على يد قائدهم عبو وباها وبقي مسجونا سبع سنين ثم خرج من السجن مستخفيا بين نساء في سابع رجب سنة اربع واربعين والف واعلن العامة بنصره ولم يتم له امر ، ثم توفي قتيلا في الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة احدى وخمسين والف رمى برصاصة من بعض العامة فكان منها حتفه وذلك بفاس الجديد ولم يتم له امر

ظهور أبي عبد الله العياشي بسلا ومبايعة اكابر عصره له

على الجهاد والقيام بالحق

قد تقدم لنا انتقاض اندلس سلا على السلطان زيدان وقتلهم مولاه عجيبا فبقيت سلا فوضى لا والي بها فكثر النهب وامتدت ايدي اللصوص الى المال والحريم ، وسيدي محمد العياشي ساكت لا يتكلم وكثرت الشكايات من التجار والمسافرين بمخافة السبل وقطع الطرقات ، فاهرع الناس الى ابي عبد الله المذكور من كل جانب ، وكثرت وفوده ، واشرقت في الجو السلاوى انواره ، فشمر عن ساعد الجد واظهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

ولما طالبه الناس بالتقدم عليهم والنظر في مصالح المسلمين وامور جهادهم مع عدوهم أمر أشياخ القبائل واعيانها من عرب وبربر ورؤساء الامصار ان يضعوا خطوطهم في ظهير بانهم رضوه وقدموه على انفسهم والتزموا طاعته ، وان اى قبيلة خرجت عن امره كانوا معه يدا واحدة على مقاتلتها حتى تفيء الى امر الله ، فاعطوا بذلك خطوطهم في ظهير ، وانهم رضوه وقدموه على انفسهم ، ووافق على ذلك قضاة الوقت وفقهاؤه من تامسنا الى تازا

وكان الحامل له على طلب ذلك منهم انه بلغه عن بعض طلبــة الوقت انه قال لا يحل الجهاد الا مع الامير ، ففعل ذلك خروجا من تلك الدعوى الواهية ، والا فقد كتب له علماء الوقت كالامام ابي محمد عبد الواحد بن عاشر ، والامام ابي اسحاق ابراهيم الكلالي بضم الكاف المعقودة ، والامــام أبي عبد الله محمد العربي الفاسي وغيرهـم بان مقاتلــة العدو الكافــر لا تتوقف على وجود السلطان وانما جماعة المسلمين تقـوم مقامه*، ولمـا كمل امره وبايعه الناس على اعلاء كلمة الله ورد الظلم عن ضعفاء الامـــة ضاق الامر على عرب الغرب لاعتيادهم الفسادوعدم الوازع ومحبتهم الخلاف والفتنة ، فنكث بيعته جماعة منهـم

وكان ممن نكث الناصر بن الزبير في لمة من شراكة فقاتلهم ابو عبد الله حتى ظفر بهم ثم عفا عنهم ، ونكث ايضا الطاغي بالتاء بدل الطاء فــي لسانهم مع جموعه أولاد سجير فغلبهم وعفا عنهم ، وكذلك عرب الحياينـة خلفوا على اهل فاس وعاثوا خلال تلك البلاد باغراء ولد السلطان زيدان ، فقاتلهم ابو عبد الله فكانت الدبرة عليهم ، وتاب على يده جماعة من رؤساء شراكة الذين كانوا مع الحياينة ، وكانت عاقبة كل من بغى عليه خسرا

وكان أهل سلا قد لقوا من نصارى المعمورة مضرة وشدة ، فلــما اجتمعت الكلمة على أبي عبد الله العياشي ورد الله كيد من نكث في نحـره كان اول ما بدأ به أنه تهيأ للخروج الى حلق المعمورة ، واستعد لقتالــه ومنازلة من فيه من النصارى طمعا في فتحه فيتقوى المسلمون بذخائــره ، وكان المسلمون قد حاصروه قبل ذلك فلـم يقدروا منه علــى شيء وصعب عليهم أمره ، وكان أبو عبد الله اذا أراد الله أن يظفره بغنيمة رأى فــي منامه انه يسوق خنازير أو نحوها ، ولما سار بجموعه الى الحلق ونزل عليه رأى قطعتين من الخنازير معها عنوز، فكان من قضاء الله وصنعه انه فيصبيحة

(*) بل في مقدمات ابن رشد ما نصه : « ويجاهد العدو مع كل بر وفاجر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ه فكيف بهذا الولي الكبير رضي الله عنه . ه من املاء مؤلفه

تلك الليلة قدمت أغربة من سفن النصارى بقصد الدخول الى الحلق فضيق عليهم رماة المسلمين الذين بالخندق ، فارادوا ان ينحرفوا الى البحر فردهم البحر الى ساحل الرمل هنالك فتمكن المسلمون منهم وقتلوا وسبوا ووجدوا في الاغربة زهاء ثلاثمائة أسير من المسلمين فأعتقهم الله ، وأسر يومئذ من النصارى أكثر من ثلاثمائة ، وقتل منهم أكثر من مائتين ، وظفر المسلمون بقبطان من عظمائهم ففدي به الرئيس طابق رئيس أهل الجزائر ، وكان عندهم محبوسا في قفص من حديد .

واستقامت الامور لابي عبد الله العياشي بسلا وبنى داره داخل باب المعلقة منها ، وبنى برجين على ساحل مرسى العدوتين من ناحية سلا ، وهما المعروفان اليوم بالبساتين .

ثم كانت غزوة الحلق الكبرى وكان من خبرها أن جيش أهل فاس خرجوا بقصد الجهاد فنزلوا بموضع يعرف بعين السبع وكمنوا فيه ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرج النصارى الى تلك الجهات على غرة فظفر بهم المسلمون ، وكان النصارى لما خرج جيش أهل فاس أعلمهم بذلك مسلم عندهم مرتد فاعطوه سلعا وجاء بها الى سلا بقصد بيعها والتجسس لهم على الخبر فأخذ وقتل ، وعميت عليهم الانباء اذ كانوا ينتظرون من يرد عليهم فيخبرهم ، ولما أبطأ عليهم خرجوا فلم يشعروا الا بالخيل قد أحاطت بهم وقتل منهم نحو الستمائة ، ولم ينج الا القليل حتى لم يبت في الحلق تلك الليلة الا نحو اربعين رجلا منهم ، وغنم المسلمون منهم أربعمائة من العدة ، ولم يحضر أبو عبد الله العياشي في هذه الوقعة لانه كان قد ذهب الى طنجة حنقا على يوم المسامير ، لان النصارى خذلهم الله كانوا قد صنعوا نوعا من المسمار بثلاثة رؤوس تنزل على الارض والرابع يبقى مرفوعا ، وبثوا ذلك في مجالات القتال مكيدة عظيمة تتضرر منها الفرسان والرجالة ، فلما رجع واعلم بضعف من بقي بالحلق بعث الى أهل الاندلس بسلا يصنعون له السلالم كي يصعد بها الى من بقي في الحلق فيستأصلهم ، فتثاقلوا عن صنعها غشا للاسلام ومناواة لابي عبد الله ، حتى جاء المدد لاهل

الحلق ، وكانت تلك الرابطة بين أهل الاندلس والنصارى متوارثة من لدن كانوا بارضهم ، فكانوا آنس بهم من أهل المغرب ، فلما أتى أبو عبد الله بالسلاسل لم تغن بعد شيئا ، ومن هنالك استحكمت البغضاء بينه وبين أهل الاندلس ، وكان أهل الاندلس قد أعلموا النصارى بان محلة أبي عبد الله النازلة لمحاصرة الحلق ليست لها اقامة فبلغ ذلك أبا عبد الله فأقام عليهم الحجة ، وشاور العلماء في قتالهم فافتى أبو عبد الله العربي الفاسي وغيره بجواز مقاتلتهم ، لانهم حادوا الله ورسوله ووالوا الكفار ونصحوهم ، ولانهم تصرفوا في مال المسلمين ومنعوهم من الراتب ، وقطعوا البيع والشراء عن الناس ، وخصوا به أنفسهم وصادقوا النصارى وأمدوهم بالطعام والسلاح ، وكان سيدي عبد الواحد بن عاشر لم يجب عن هذه القضية حتى رأى بعينه حين قدم الى سلا بقصد المرابطة ، فرأى أهل الاندلس يحملون الطعام الى النصارى ، ويعلمونهم بعورة المسلمين ، فافتى حينئذ بجواز مقاتلتهم فقاتلهم أبو عبد الله وحكم السيف في رقابهم أياما الى أن أخمد بدعتهم ، وجمع الكلمة بهم .

ولما وقعت غزوة الحلق الكبرى قدمت الوفود على أبي عبد الله بقصد التهنئة بما منحه الله من الظفر فحض الناس على استئصال شأفة من بقي بالحلق من النصارى ، وعير العرب بترك الكفار في بلادهم ، وكان ممن حضر من العرب جماعة من الخلط وبني مالك والناعي والدخيسي وغيرهم، فقال لهم أبو عبد الله : « والله والله والله ان لم تاخذكم النصارى لتأخذنكم البربر» فقالوا : «ياسيدي كيف يكون هذا وأنت فينا ؟» فقال لهم: «اسكتوا أنتم الذين تقطعون رأسي » فكان كذلك ، وهذا من كراماته رضي الله عنه ، ثم صرف عزمه الى التضيق على نصارى العرائش وشن الغارات عليهم ، فتقدم في جمع من المسلمين وكمن بالغابة نحوا من سبعة أيام فخرجوا على حين غفلة فمكن الله من رقابهم ، وكان في مدة كمونه بالغابة أخذ حناشا من عرب طليق يقال له ابن عبود ، والحناش في لسان عامة أهل المغرب هو الجاسوس ، فأراد أبو عبد الله قتله ، فقال له : «استبقني وأنا تائب الى

الله وانا أنفع المسلمين ان شاء الله » فتركه فذهب الى النصارى وكان موثوقا به عندهم حتى كانوا يؤدون اليه الراتب ، فقال لهم : « ان أحياء العرب وحللها قد نزلوا بوادى العرائش فلو اغرتم عليهم لغنمتموهم » فخرجوا فمكن الله منهم وطحنهم المسلمون فى ساعة واحدة طحن الحصيد ، ولم ينج منهم الا الشريد ، وكان ابن عبود قد بقى بايديهم فأخذوه ومثلوا به ونزعوا اسنانه وارادوا قتله لولا انه رفعهم الى شرعهم ، وكان عدد من قتل من النصارى نحو الف وكانت هذه الوقعة سنة أربعين والف .

بقية اخبار السلطان عبد الملك بن زيدان ووفاته

قال اليفرنى : كان عبد الملك بن زيدان فاسد السيرة مطموس البصيرة وبلغ من قلة ديانته انه تزايد له مولود فاظهر انه اراد ان يحتفل لسابعه فبعث الى نساء أعيان مراكش ونساء خدامه ان يحضرن ، وصعد هو الى منارة فى داره فنظر الى النساء وهن متنشرات قد وضعن ثيابهن فأيتهن أعجبته بعث اليها وكان مدمنا على شرب الخمر الى ان قتله العلوج بمراكش وهو سكران يوم الاحد سادس عشر شعبان سنة اربعين والف ، ودفن الى جنب قبر ابيه

وبسط منويل خبر مقتله فقال : « لما ثار الوليد على اخيه عبد الملك وعادت الكرة عليه بقى متنقلا فى البلاد ثم رغب الى اخيه حتى رده الى مراكش ، فاخذ الوليد يستميل رؤساء الدولة ووجوهها وتجارها ويعدهم بالاحسان حتى وافقوه على الفتك باخيه فرصدوه حتى غفل البوابون ودخلوا عليه قبته وهو متكىء على طنفسة فرموه برصاصة وتناولوه بالخناجر المسماة عند المغاربة بالكميات ، وقامت الهيعة بالمشور والقصبة فخاف الوليد على نفسه من بعض قواد الجند فاخرج جنازة اخيه الى المشور حتى شاهده الناس ميتا فسكنوا وانقطع املهم وبايعوه » انتهى قال اليفرنى : ومما رأيته منقوشا على رخامة قبره هذان البيتان :

لا تقنطن فان الله منان   وعنده للورى عفو وغفران
ان كان عندك اعمال ومعصية   فعند ربك افضال واحسان

ومن وزرائه : محمد باشا العلج ويحيى آجانا الوريكي وجوذر وغيرهم . وقاضيه : الفقيه ابو مهدى عيسى بن عبد الرحمن السكتاني قاضي مراكش . ومفتيه : ابو العباس احمد السملالى رحم الله الجميع

الخبر عن دولة السلطان أبي يزيد الوليد بن زيدان رحمه الله

لما قتل السلطان عبد الملك بن زيدان فى التاريخ المتقدم بويع أخوه الوليد بن زيدان فلم يزل مقتصرا على ما كان لاخيه وابيه من قبله لم يجاوز سلطانه مراكش واعمالها ، وعظمت الفتن بفاس حتى عطلت الجمعة والتراويح من جامع القرويين مدة ، ولم يصل به ليلة القدر الا رجل واحد من شدة الهول والحروب التى كانت بين أهل المدينة

واقتسم المغرب فى أيام اولاد زيدان طوائف فكان حاله كحال الاندلس أيام طوائفها كما ذكرنا ونذكر بعد ان شاء الله

ظهور أبي حسون السملالى المعروف بابي دميعة بالسوس

ثم استيلاؤه على درعة وسجلماسة وأعمالها

هذا الرجل هو ابو الحسن ، ويقال : ابو حسون على بن محمد بن محمد بن الولى الصالح ابى العباس أحمد بن موسى السملالى ، وكان بدء امره انه لما ضعف امر السلطان زيدان بالصقع السوسى وفشل ريحه فيه نبغ هو فدعا لنفسه وجر نار الرياسة الى قرصه ، وتألبت عليه البرابرة من بسائط جزولة وجبالها ، والتفت عليه غالب القبائل السوسية فاستولى على تارودانت واعمالها الى ان اخرجه عنها الفقيه ابو زكرياء بن عبد المنعم بعد حروب

وفتن عظيمة حسبما مرت الاشارة اليـــه *

ولما توفي ابو زكرياء في التاريخ المتقدم صفا لابي حسون قطر السوس ونفذ فيه أمره وسمعت كلمته ، ثم بعد مهلك زيدان مد يـده الى درعــة فاستولى عليها ، ثم استولى على سجلماسة ونواحيها فاستحكم أمره وتقوى عضده ولم يزل امره نافذا في سجلماسة الى ان ثار عليه الاسد الهصور المولى محمد بن الشريف فاخرجه من سجلماسة بعد حروب يشيب لها الوليد ، ثم أخرجه من درعة ايضا على ما نذكره بعد ، وقد وقفت على سؤال رفع من جانب ابي حسون الى القاضي ابي مهدي السكتاني في شأن مدينــة ايليــغ دار رياسته ومقر عزه يستفتيه في احداث كنيسة اليهود بها هل يجـوز أم لا وفيه مع ذلك بعض الكشف عن حال هذه المدينة فلنذكره ونصه :

«الحمد لله الذي ارتضى للاسلام دينا ، وانزل به على خيرة خلقــه كتابا مبينا ، الفقيه الاجل العلامة الاحفل القاضي الاعدل ، خاتمـة المحققين ومعتمد الموثقين ، ابا مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني وفقه الله لمـا يرضيه ، واعانه على ما هو متوليه ، السلام عليكم ورحمـــة الله وبركاته ، وبعد ، فقد تقرر عند سيدنا امر هذه الحضرة العلية العلوية ايليــغ أدام الله بهجتها ، كما رفع كثيرها من الحواضر درجتها ، وانهـا محدثة فتوفــرت ببركة بانيها عمارتها ومبانيها ، فاتخذها مسكنا اهـل السهــول والحزون ، وجمعت لطيب تربتها بين الضب والنون ، فنزلها برسم الاستيطان اوشاب من

* قال التمانرتي في الفوائد : وفي ذي القعدة سنة تسع وثلاثين والف حاصر بغاة العرب والبربر مدينة السوس الاقصى تارودانت وهي اذ ذاك تحت إمارة الامير ابي الحسن الجزولي فاستباحوها إلا قصبتها وحاصروها خمسة وعشرين يومـا وحفروا اسرابا تحت سورها فوجدوا قاعدة اساسهـا لا تنال الفؤوس منه شيئا لوثاقته فقنطوا وبلغ خبرهم الامير المذكور فطوى اليهم المراحل من الصحراء ولما قارب بلاد السوس اقلعوا وهربوا عنها فورد في جيش عظيم من جزولة فاقام بها حتى اصلحها وشحنهـا بالعدد والجيوش ولم يتمكن من البغاة لتفرقهم في الجبال اهـ الغرض منه ويظهر ان القطر السوسي صفا بعد هذا التاريخ لابي حسون واستتب فيه امره

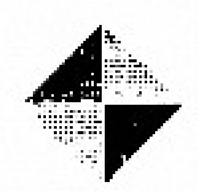
أهل الذمة ، باذن مختطها الامام العالى الهمة ، فاختطوا بها عن اذنه منازلهم وبنوا بفنائها كنيستهم وصيروها متعبدهم ، فاتفق ، والحديث شجـــون ، ان جرى ببعض اندية علمائها ، ومحضر جمع من نبهاء البلدة وفقهائها ، كلام أفضى بهم الى ذكر الكنيسة المذكورة ، والمجادلة فى محصل الحكم الشرعى فيها فى الدواوين المسطورة ، فافتى بعضهم بوجوب هدمها لانهـا محدثـــة ببلاد الاسلام ، ولما فى تركها من المفاسد العظام ، وانها لا ترك لهم متعبدا وجزم الكلام ، وقال : هذا محصل ما ذكره فى مثل هذه القضية الاعلام ، وأفتى فريق بجواز ابقائها ، وانه لا ينبغى تقويض بنائها ، ولا التعرض لهم فى احداثها ، اذ على مثل هذا من دينهم الفاسد اقروا واعطوا الذمـة فاعطوا الجزية صاغرين ولم يرد منع اجتماع دينين الا فى جزيرة العرب، وكم من بلد اسلامى محدث مشحون بالعلماء احدثت فيه ولم يقولوا بمنعه وتواطؤهم على تركها كالنص والدليل على جواز احداثها وابقائها بعـــده ، واستمـر الحجاج ، وكثر اللجاج ، ولم يقنع كـــل فريق بما ابداه الآخـــر مـــن الاحتجاج ،فعطلت لذلك الى الان تفرقوا فيها بعلمكم النافع بين العذب والاجاج بفتوى تبين صحيح الاقوال من سقيمها ، وتفصل بين ليلى وغريمها ، ولولا محل النازلة من الدين ما رفعت اليكم ، فلذلك وجب الجواب عنها عليكم ، مع مسألة اخرى وهى : انهم طلبوا ان تترك لهم بقعة يوارون فيهـا جيف موتاهم لان مسافة ما بينهم وبين افران التى هى مقبرة قديمة لهم بعيدة هل يساعفون ام لا؟ والله يبقيكم ومجدكم محروس ، وظـــل من استظلكــم مكنـــوس . والسلام عليكـــم »

الجـواب :

« الحمد لله وعلى فقهاء بلادنا السوسية حرسها الله واكرمهم باتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ، فقد وقف كاتبه عفا الله عنه على نازلة أهل الذمـة النازلين بايليـــغ مختط أولاد السيد البركة قطب بلادنا سيدى احمد بن موسى نفعنا الله ببركاتـــه وبارك فى ذريته وسددهم لما فيه رضاه آمين ، ولما وقفت عليهـا وتأملتهـــا

رأيت ان الصواب فيها الفتوى بمنع احداث أهل الذمة الكنائس فيها وبهدم ما بنى فيها بعد احداثه لان ايليغ من بلاد الاسلام ، ولا فيه شبهة لاهل الذمه الطارين عليه لا باعتبار الفتح العنوي ولا باعتبار الصلحي على الخلاف في المغرب باعتبار فتحه ، وحاصل امرها خفاء الحال فيها واذا كان الامر هكذا فالحكم انها ملك لمدعيها الحائز لها ، والاراضي اقسام : أرض اسلام لا يجوز احداث الكنائس بها باتفاق ، ثم ان وقع شيء من ذلك هدم ، وارض ايليغ من هذا القسم فان ملكوا الارض التي بنوا فيها الكنيسة بوجه من وجوه التملك كالعطية وجب هدمها ونقضها ، ويكون لهم ما يسوغ من المنافع ، وان كان بناء الكنيسة شرطا ردت العطية وفسخ البيع ان كان به لانه في معنى التحبيس على الكنيسة ، والحاصل ان وجه دخول اليهود ايليغ معلوم ، وان بلده ملك للاسلام ، فبناء اليهود فيها الكنائس معصية ، وتمكينهم منه اعانة عليها وهذا لا يخفى ، واما الجواز والافتاء به في النازلة فبمعزل عن الصواب والاستدلال على الجواز بحواضر المغرب وسكوت علمائها وموافقة امرائها لا يتم ، لان اصل تمكينهم من الكنائس مجهول ، اذ يحتمل امورا منها : انه يحتمل ان يكون بعهد كان لهم في غير تلك البلاد من اقرارهم على بلد يسكنونه مع بقائهم على متعبداتهم ، ثم نقلوا لمصلحة اقتضت ذلك ، او ارجح ، ولان البلاد تقدم فيها اليهود وغيرهم من اهل الصلح ، والحاصل أن وجه دخولهم مجهول في هذه البلاد بخلاف ايليغ ، ونازلة ايليغ معلومة الدخول فبينهما بون فقياس احداهما على الاخرى لا يصح وبالله التوفيق وكتب عيسى بن عبد الرحمن وفقه الله آمين

ولما علم المرابط بالحكم أمر بهدمها ومنع اليهود مما أرادوه



بقية أخبار السلطان الوليد بن زيدان ووفاته رحمه الله

قال في شرح الزهرة : كان الوليد بن زيدان متظاهرا بالديانة ، لين الجانب حتى رضيته الخاصة والعامة ، وكان مولعا بالسماع لايفك عنه ليلا ولا نهارا ، الا أنه كان يقتل الاشراف من اخوته وبني عمه حتى أفنى أكثرهم ، وكان مع ذلك محبا في العلماء مائلا اليهم بكليته متواضعا لهم ، وله ألف القائد ابو الحسن علي بن الطيب منظومته المشهورة في الفواكه الصيفية والخريفية ، وألف القاضي أبو مهدي السكتاني شرح صغرى الصغرى للسنوسي برسمه ، والقصبة المعروفة بالوليدية على ساحل البحر المحيط فيما بين آسفي وتيط هي منسوبة اليه واظنها من بنائه* والله أعلم

وأما وفاته فسببها ان جنده من العلوج طالبوه بمرتبهم وأعطياتهم على العادة وقالوا له : « أعطنا ما نأكل » فقال لهم على طريق التهكم : «كلوا قشر النارنج بالمسرة» فغضبوا لذلك وكمن له أربعة منهم فقتلوه غدرا يوم الخميس الرابع عشر من رمضان المعظم سنة خمس واربعين وألف .

وقال منويل : لما ولي الوليد قتل أخاه اسماعيل واثنين من أولاد أخيه عبد الملك وسبعة من بني عمه ، ولم يترك الا أخاه الشيخ بن زيدان استصغارا له اذ كان سنه يومئذ احدى عشرة سنة ، وكانت أمه تخاف عليه من الوليد فكانت تحرسه منه حراسة شديدة ، والقى الله محبته في قلب سائر نساء القصر لما رأين من هلاك الاعياص وعرضة الملك للزوال ، وكن حازمات يقمن مقام الرجال حتى ان بعضهن كانت لها طبنجات في حزامها دائما تحرس الشيخ من أخيه الوليد .

ثم ان رؤساء الدولة سئموا ملكه فاتفقوا مع نساء القصر على قتله ، وكان الوليد عازما على قتل أخيه الشيخ أيضا ، فاحتال بأن صنع ذات

---

[*] قد جزم المؤرخ الفرنسوي دو كاستري بأنها من بنائه وان بناءها كان في سنة ١٦٣٤ مسيحية وأن الوليد استعمل في تشييدها عددا من أسرى النصارى ه

ليلة جمعا عظيما وطعاما كثيرا دعا اليه وجوه الدولة وأعيان مراكش ، وكان أخوه الشيخ عنده في الدار لا يتركه يخرج بحال ، وعزم انه اذا اشتغل نساء القصر بأمر الطعام ونحوه خالف اليه وقتله ، فكان من قدر الله أن العلوج قد عزموا في تلك الليلة على اغتيال الوليد فكمنوا له في الحجرة التي كان الشيخ محبوسا فيها ، ثم لما جاء الوقت واجتمع الناس في القبة التي اعدها لهم الوليد قام ودخل الى الحجرة التي فيها الشيخ للفتك به فوجد الاعلاج كامنين له هناك ، فلما رآهم فزع ، وقال : « مالكم؟ » فرموه بالرصاص ثم تناولوه بالخناجر حتى فاظ انتهى *

الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله

لما قتل السلطان الوليد في التاريخ المتقدم اختلف الناس فيمن يقدمونه للولاية عليهم ثم اجتمع رأيهم على مبايعة أخيه محمد الشيخ والقاء القيادة اليه فاخرجوه من السجن ، وكان أخوه الوليد قد سجنه اذ كان يتخوف منه الخروج عليه ، فبويع بمراكش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف . ولما بويع سار في الناس سيرة حميدة وألان الجانب للكافة ، وكان متواضعا في نفسه صفوحا عن الهفوات متوقفا عن سفك الدماء مائلا الى الراحة والدعة متظاهرا بالخير ومحبة الصالحين ، وهو الذي بنا على قبر الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي بزاويته قبة حافلة البناء رائقة الصنعة ، الا أنه كان منكوس الراية مهزوم الجيش ، وبسبب ذلك لم يصف له مما كان بيد أبيه واخوته الا مراكش وبعض أعمالها

---

[*] راجع خبر هدية الوليد للحرم الشريف سنة ١٠٤٢ في تاريخ مراكش ج ٤ ص ٢٧٥ للمارجي المراكشي

وقد ثار عليه رجل من هشتوكة خـــارج باب الخميس من مراكش وقاسى في محاربته تعبا شديدا ولم يزل يناوشه القتال الى أن كانت له عليه الكرة ففرق جمعه ، ثم خرجت عليه أيضا قبيلة الشباظمة فقصدهم ، وكانت الملاقاة بينه وبينهم عند جبل الحديد ، فانهزم هزيمة شنعاء . ثم حدث بينه وبين أهل زاوية الدلائي ما نذكره بعدان شاء الله .

ومما ذكره مويل من أخباره : « انه كان محسنا لسائر رعيته وكـان حاله على الضد من جور أخيه الوليد وعسفه » ، قال : « وسرح الفرايايسة الذين كانوا في سجن مراكش وأعطاهم الكنيسة التي بالسجينة منها وحالفت عليه سلا وأعمالها » انتهـــى

بقية أخبار ابى عبد الله العياشي بسلا والثغور وما يتبع ذلك

كان أمر ابى عبد الله العياشي بسلا وسائر بلاد المغرب على ما وصفناه قبل من جهاد العدو والتضيق عليه والمصابرة لـه والابلاغ في نكايته فانتعش به الاسلام وازدهت الايام ، ودخلت في طاعته القبائل والامصار من تامسنا الى تازا كما قلنا ، لاسيما فاس وأعلامها فانهم قد تابعوه وتابعوه على ما كان بصدده من الجهاد والرباط ، وحصل لهم بصحبته وولايته أتم اغتباط ، ولم يزل في نحر العدو الى أن امن سرب المسلمين وحق القول على الكافرين.

وفادة اعلام فاس واشرافها على ابى عبد الله العياشي بسلا

هذه الوفادة قد ذكرها الامام العلامة ابو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي فى فاتحة شرحه الصغير على « المرشد المعين » .

قال في « نشر المثاني » : « وسببها ما وقع من الحرب بين أهل فاس وبين الحياينة وشراقة على قنطرة وادي سبو ، وقتل فيها من أهل فاس خمسة واربعون رجلا ، فخرج شرفاء فاس وفقهاؤها الى سلا مستغيثين بأبي عبد الله العياشي ، قال : وكان الذي اغرى الحياينة بفاس هو أحمد ابن زيدان التفوا عليه وقاموا بدعوته ووصلوا أيديهم بشراقة وفعلوا بفاس واهلها الافاعيل حتى اختطفوا في بعض الايام نساءهم من الجنان وباعوهن في القبائل وفعلوا بهن ما لا يجوز . قال الشيخ ميارة » : « قد من على ذو العظمة والجلال ، الكريم المتفضل المتعال ، بزيارة الولي الصالح ، العالم العامل السائح ، قطب الزمان وكهف الامان ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، المرابط في الثغور مدة عمره لحياطة المسلمين ، ذي الكرامات الشهيرة العديدة ، والفتوحات العظيمة الحميدة ، من لا شبيه له في عصره وما قرب منه ولا نظير ، ولا معين له على نصرة الاسلام ولا نصير الا الله الذي تفضل به علينا ، واقره بمنه وجوده بين اظهرنا فهو كما قيل :

حلف الزمان ليأتين بمثله   حنثت يمينك يازمان فكفر

البركة القدوة ، المجاب الدعوة ، أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد العياشي أبقى الله بركته ، وعظم حرمته وبلغه من خير الدارين امنيته ، وأطال للمسلمين عمره وقواه ، وجعل الجنة نزله ومأواه ، مع جماعة من أعيان السادة ، من الشرفاء والفقهاء القادة ، وذلك أواسط ذي الحجة الحرام متم سبعة وأربعين وألف عام ، وهو رزقنا الله رضاه بثغر سلا ، أمنها الله من كل مكروه وبلا ، فاجتمعت اذ ذاك بنجله السعيد الموفق الرشيد ، العالم الهمام ، حجة الله في الاسلام ، ذي العقل الراجح ، والهدى الواضح ،

«عهود من الآباء توارثتها الابناء» المتواضع الخاشع ، صاحب القلم البارع ، سيدي وسندي أبي محمد عبد الله سلمه الله من كل مكروه ووقاه ، فحضني حفظه الله على اختصار الشرح المذكور ، يعني : شرحه الكبير على المرشد المعين «بعد أن طالع جله وسر به كل السرور ، وحث على في تقديم ذلك على جميع الامور ، فلما قفلت من وجهتي شرعت في ذلك تاركا للتسويف، طالبا من المولى سبحانه السلامة من الخطأ والتحريف» . انتهى المقصود منه

قال في « نشر المثاني » : « ان أبا عبد الله العياشي قدم فاسا ونظر في أمرها وغزا عرب الحياينة مرارا واثخن فيهم حتى خضعوا للطاعة » .

ايقاع ابي عبد الله العياشي بنصارى الجديدة

سبب هذه الغزوة كما ذكره الفقيه العلامة قاضي ناحية ابو زيد عبد الرحمن بن أحمد الغنامي الشاوي المعروف بسيدي رحو الغنامي أن نصارى الجديدة عقدوا المهادنة مع أهل آزمور مدة ، فكان من عزة النصارى وذلة المسلمين في تلك المدة ما تتفطر منه الاكباد وتخر له الاطواد ، فمن ذلك : أن زوجة قبطانهم خرجت ذات يوم في محفتها ومعها سواحاتها الى أن وصلت حلة العرب فلقاها أهل الحلة بالزغاريت والفرح ، وصنعوا لها من الاطعمة وحملوا لها من هداية الدجاج والحليب والبيض شيئا كثيرا فظلت عندهم في فرح عظيم ، ولما كان الليل رجعت ، ووقع لها أيضا : أنها أمرت القبطان زوجها أن يخرج بجيشه ويبعث الى قائد آزمور أن يخرج بجيش المسلمين فيلعبوا فيما بينهم وهي تنظر اليهم بقصد الفرجة والنزهة فكان كذلك ، فجعلوا يلعبون وهي تتفرج فيهم فما كان بأسرع من أن حمل نصراني على مسلم فقتله ، فكلم قائد المسلمين القبطان وأخبره بما وقع ، فقال له القبطان : « فما يضركم ان مات شهيدا » يهزأ بالمسلمين ويسخر منهم ، قال : « وكان الولي الصالح العابد ، الناسك

الزاهد المجاهد ، رافع لواء الاسلام ، ومحيي منهاج النبي عليه الصلاة والسلام ، سيدي محمد العياشي كلما سمع شيئا من ذلك تغير وبات لا يلتذ بطعام ولا منام ، وهو يفكر كيف تكون الحيلة في زوال المعرة عن المسلمين بتلك الجهة وغسل اعراضهم من وسخ الاهانة ، وهو مع ذلك يخاف من العيون الذين يرصدونه من صاحب مراكش وقائد آزمور . ومن قبطان الجديدة ، اذ كان ما خلف وادي ام الربيع الى مراكش باقيا في دعوة السلطان لم يدخل في دعوة أبي عبد الله المذكور ، فمكث كذلك ثلاث سنين ، ولما رأى أن الامر لا يزيد الا شدة أوعز الى بعض اولاد ذؤيب من أولاد أبي عزيز أن يجلبوا الى النصارى شيئا من القمح خفية وأن يكون ذلك شيئا فشيئا حتى تطمئن نفوسهم ويذوقوا حلاونه ويوهمهم النصح والمحبة ، فلما حصل ذلك جاءه جماعة منهم واخبروه الخبر واطلعوه على غرة النصارى خذلهم الله ، فعزم على قصد الجديدة ثم بدا له في تقديم غزو العرائش ، ثم يأتي الجديدة بغتة ، ففعل رحمه الله ، وكان ذلك اوائل صفر سنة تسع واربعين والف

ثم عزم على قصد الجديدة فذكروا له أن وادي أم الربيع في نهاية المد والامتلاء فلم ينثه عن ذلك وسار حتى بلغ الوادي المذكور على مشرع ابي الاعوان فوجده ممتلئا جدا لا يكاد يدخله أحد الا غرق ، فقال لاصحابه وسائر من معه : توكلوا على الله واجتهدوا في الدعاء ، ثم اقتحم الوادي بفرسه وتبعه الناس ، فعبروا جميعا ولم يتأذ منهم أحد ، وكان الماء يصل الى قريب من ركب خيلهم ، مع أن مد ذلك الوادي حين امتلائه لا يدرك له قعر عند الناس كما هو شهير ، وهذه كرامة عظيمة وقعت له رضي الله عنه ، وكان القاضي أبو زيد الفاسي حاضرا لها وشاهدها ، ولم يقع مثل هذا فيما علمناه الا للصحابة رضي الله عنهم ، مثل ما وقع لسعد بن أبي وقاص في عبوره دجلة لفتح المدائن ، ومثل ما وقع للعلاء بن الحضرمي في فتح بعض بلادفارس ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولما وصل ابو عبد الله الى الجديدة وجد طائفة من أولاد أبي عزيز

قد نذروا به ولجأوا الى القبطان خوفا منه أن يوقع بهم لاجل مهادنتهم للكفار واتصالهم بهم فخرج القبطان في خيله ، وكان سيدى محمد كامنا بازاء الجديدة بالغابة التى كانت هناك وقد زالت اليوم ، فلما انفصل القبطان بجيشه عن الجديدة حمل عليهم ابو عبد الله فقطعهم عنها ، ففروا الى جهة البحر فاوقع بهم فهلكوا ولم ينج منهم الا سبعة وعشرون رجلا ، فتغير صاحب مراكش من ذلك وانكر ما صنع ابو عبد الله وكذا أنكره قاضيه الفقيه أبو مهدى السكتاني .

وقد ذكر لويز مارية خبر هذه الوقعة فقال : « ان طائفة من المسلمين قدموا على قائد البرتقال بالجديدة وقالوا له : «انا قد جئناك من عند المولى محمد بن الشريف يطلب منك أن تعينه بجماعة من عسكرك على بعض عدوه » فاسعفهم بذلك ، وكان شابا غرا لم يجرب الامور ، فنهاه بعض كبار عسكره وحذره عاقبة الغدر ، فأبى وعزم على الخروج مع اولئك المسلمين . وتقاعد عنه عسكره ، فقال لهم : « اني أخرج وحدى » وذهب ليخرج وحده فتبعوه حينئذ ، وكانوا مائة وأربعين فارسا ، فلما انفصلوا عن الجديدة بمسافة وجدوا خيلا كثيرة كامنة لهم ، فلم يشعروا حتى احاطت بهم نصف دائرة منهم فما كلموهم حتى كملت الدائرة عليهم وصاروا مركزها ، فحينئذ التفت قائد العسكر الى ذلك الرجل الذى نهاه عن الخروج وقال له : « ما الحيلة ؟ » فاجابه بان الحيلة : « القتال حتى نموت» ثم أنشد له شعرا مضمنه : اني أشرت عليك ، وأنت أعظم جاهاتي ، فلم تسمع ، والآن نقتل معا وتختلط دماؤنا حتى لا يتميزان ولا يعرف دم الشريف من الوضيع . والحاصل ان المسلمين اوقعوا بهم حتى لم يرجع منهم الى الجديدة الا ثلاثة ، وأسر منهم خمسة عشر أحياء ، والباقي أتى عليه القتل ، وقامت بالجديدة مناحة عظيمة لم يتقدم مثلها ، وسجن الاسارى بسلا سنين في بعض دهاليزها حتى افتداهم سلطانهم خوان الذى جمع مملكتهم من يد الاصبنيول » انتهى .

ولما قدم سيدى محمد العياشي من هذه الغزوة سار الى فاس للنظر

فى امرها لما هاج من الحرب بين أهلها ، وذلك أن رجلا منهم يقال له ابن الزبن عدا على رجل آخر يقال له : احمد عميرة فرماه برصاصة من علية مسجد فوق سويقة ابن صافى فقتله ، وهاجت الحرب بفاس بين أهل عدوة الاندلس ، وكان المقتول رئيسهم ، وبين اللمطيين ، فقدم سيدى محمد العياشي فاسا فى آخر جمادى سنة خمسين وألف فأصلح بينهم ، وأقاد من قاتل عميرة كبير الاندلسيين ، وبالجملة فغزوات سيدى محمد العياشي رحمه الله كثيرة ،وذبه عن الاسلام وحمايته للدين مما هو شهير عند الخاص والعام .

وفى هذه الغزوة يقول الكاتب الاديب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي مادحا لسيدي محمد العياشي ومشيرا الى الكرامة التى وقعت له فى عبور النهر :

حديث العلا عنكم يسير به الركب ويتقله فى صحفه الشرق والغرب
وحبكم فرض على كل مسلم تنال به الزلفى من الله والقرب
فأنت رفيع من أصول رفيعة نجوم الدياجى فى الانام لها سرب
سمى رسول الله ناصر دينه تجلى بكم عن أفقه الشك والريب
ولم أر بحرا جاوز البحر قبلكم تجود لستجد أنامله السحب
وما يستوى البحران عندى فان ذا أجاج لعمرى فى المذاق وذا عذب

وكان رحمه الله عازما على أخذ العرائش فحال بينه وبينها الصرام الاجل وكذلك كان ملحا على أخذ طنجة فلم تساعده الاقدار

مقتل ابي عبد الله العياشي رحمه الله والسبب فيه

قدمنا أن أهل الاندلس بسلا تحزبوا على ابي عبد الله العياشي ورموه عن قوس واحدة وانه كان قد اطلع على خبثهم ونصحهم للكفر واهله ، وانه استفتى العلماء فيهم فافتوه باباحة قتال من هذه صفته ، فاطلق فيهم السيل أياما فقتل من وجد منهم وهرب أكثرهم فهربت طائفة منهم الى مراكش وهربت طائفة الى الجزائر واخرى الى النصارى وفرقة الى زاوية الدلاء ، فجاء أهل الدلاء يشفعون في اهل الاندلس فابى ابو عبد الله ان يقبل فيهم الشفاعة وقال : «ان الرأى في استئصال شأفتهم» فلما رأى اهل الدلاء امتناعه ورد شفاعتهم غضبوا لذلك واجمعوا على حربه ، ومن قبل ما كانت للقوارص تسرى منهم اليه يدل على ذلك الرسالة التي كتب بها الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابى بكر الدلائي الى ابى عبد الله العياشي ونصها : «الحمد لله الحليم العفو الرءوف ، المنزه عن صفات من وصف بها مؤف ، وصلى الله على سيدنا محمد مدينة العلم، المسورة بسور السماحة والحلم، وعلى ساداتنا آله وصحبه ، وكل من انتظم في سلك اتباعهم من أهل حزبه ، هذا ، وان المجلى بنور طلعته ظلم الظلم والفساد ، المحلى خزائن المعالى بموجبات النفاق على حين الكساد المستوطن حبه بسويداء الفؤاد ، من القت اليه المكارم أزمة الانقياد وصلحت به بحمد الله العباد والبلاد ، حوطة الاسلام وحمايته ، وخديم الدين المحمدي وكفايته ، سيدي محمد بن أحمد العياشي المحمود الاوصاف ، بشهادة من يعد من أهل الانصاف ، زاده الله من المكارم أعلاها ، ومن نفائس درر المجد اغلاها ، وتوجه بتاج الكرامة والرضى ، وامده بدائم مدده السرمدى حتى يرضى ، وسلم جنابه القدسي العلمى العملى المرابطى المجاهدى من جميع البلايا ، واتحفه من تحفه الفاضلة الوهبية باعلى المزايا ، واهدى اليه من طيب بركاته ورحماته ، ما يرضاه بديه العلمي لحماته ، قد شهدنا على انفسنا بالاقرار بفضله علينا ، وان ما

يسره يسرنا وما يضره يضرنا ، علم ذلك منا يقينا من له ممنا ادنى مخالطة بحيث لا يمكنه ان يدفع ذلك بنوع من المغالطة ، وان الضار بالعين فنار بانسانها ، لكن النفوس الانسانية محل لخطاها ونسيانها ، ومن أقمناه لديكم مقام الخادم والولد ، قد ساءنا منه ما ساءكم مما عنه ورد ، وظننا من جميل اوصافكم معاملته بالصفح والجميل ، فلن يزال الانسان الا من عصمه الله يستمال او يميل ، ولولا الحرارة ما عرف الظل ، ولولا الوابل تقبل النهاية في الطل ، وما عرف العفو لولا الاساءة ، ولا يعان صبر المرء الا فيما ساءه، وما عرفنا صاحبه الا محبا لجانب كل من للمدين ينتسب ، فان خرج عن نظركم فقد اتاه الغلط من لا يحتسب ، انتهى

وكان الشيخ ابن ابي بكر رحمه الله يطيل الثناء على أبي عبد الله العياشي ويذيع محاسنه وكان يقول في دعائه : اللهم اجزعنا سيدي محمد العياشي افضل المجازاة وكافه احسن المكافاة واجعل مكافاتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون اقرب اليه منه ، اللهم لا تحرمه توجهه اليك وانقطاعه لخدمتك . اللهم نفس كربته وكمل رغبته ، واجب دعوته ، وسدد رميته ، واردد له الكرة على من عداه في الحق انك على كل شيء قدير . انتهى

فهذا حال الشيخ ابن ابي بكر رحمه الله مع ابي عبد الله العياشي ثم قدر الله ان حدث بين اولاده وبين العياشي من النفرة مما افضى الى المقاتلة وذلك بسبب رده شفاعتهم في أهل الاندلس وامور أخر فاجمعوا على حربه كما قلنا ، فخرج اليهم ابو عبد الله العياشي فأوقع بهم وهزم جموعهم ، وفتك بالعرب الذين كانوا مع الناغي فتفرقت الجموع ، وتبرأ التابع من المتبوع .

ثم ذهب ابو عبد الله العياشي الى طنجة بقصد الجهاد فلما قفل من غزوه وجد البربر من اهل الدلاء قد وصلوا الى اطراف أزغار ، ومعهم الناغي والدخيسي واهل حزبهم من الكدادرة وغيرهم ، وعزموا على مصادمة ابي عبد الله فاراد ان يغض الطرف عنهم ويصرف عنانه عن جهتهم فلم يزل

أصحابه به الى أن برز لمقاتلهم فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على أبي عبد الله العياشي وقتل فرسه تحته ، فرجع الى بلاد الخلط ، وكان رؤساء الخلط أكثرهم في حرب الناعي وعلى رأي الكدادرة ، فرجعت البربر الى أوطانهم، وبقي ابو عبد الله العياشي عند الخلط أياما ، ثم غدروا به فقتلوه بموضع يسمى عين القصب واحتزوا رأسه ، وحمله بعضهم الى سلا ، وكأنه حمله الى اهل الاندلس اذ هم اعداؤه بها قال في « شرح المثاني » : ودفنت جثته بازاء روضة أبي الشتاء رضي الله عنه

ومن كراماته المتواترة انهم لما حملوا الرأس سمعوه ليلا وهو يقرأ القرآن جهارا حتى علمه جميع من حضر فردوه الى مكانه وتاب بسببه جماعة من الناس ، واما القبة المنسوبة اليه بقبيلة اولاد ابي عزيز من بلاد دكالة فالظاهر انها متخذة على بعض معاهده التي كان يأوي اليها ايام كونه بالقبيلة المذكورة في ابتداء أمره كما مر ، وليس هناك قبر له على الصحيح

ولما قتل أبو عبد الله العياشي فرح النصارى بمقتله غاية الفرح واعطوا البشارة على ذلك وعملوا الفرحات ثلاثة أيام ، وكان مقتله رحمه الله تاسع عشر المحرم سنة احدى وخمسين والف وقد رمزوا لتاريخ وفاته بقولهم : « مات زرب الاسلام » باسقاط الف الوصل ، وحدث رجل أنه كان بالاسكندرية فرأى النصارى يومئذ يفرحون ويخرجون انفاضهم فسألهم فقالوا له : « قتل سانطو بالمغرب » وفي « الرحلة » لابي سالم العياشي قال : « اخبرني الشيخ محمد الفزاري بمكة قال : كان بالمدينة المشرفة رجل مغربي من أهل القصر في السنة التي قتل فيها الولي الصالح المجاهد سيدي محمد بن احمد العياشي قال : فجاءني ذات يوم وقال لي : « اني رأيت في النوم البارحة رجلا جالسا مقطوع اليد تسيل دما ، فقلت له : « من انت ؟ » قال : «الاسلام» قطعت يدي بسلا » قال : فلما اخبرني قلت له : الذي يظهر لي من رؤياك ان الرجل الصالح المجاهد الذي كان بسلا قد قتل » قال : وبعد ذلك في آخر السنة قدم حجاج المغرب فاخبرونا بموته »

وقد رثي رحمه الله بقصائد كثيرة منها قصيدة الاديب البليغ أبي العباس أحمد الدغوغي التي ذكرها في النزهة ، ويحكى انه وجد مقيدا بخط أبي عبد الله العياشي المذكور ان جملة ما قتله من الكفار في غزواته سبعة آلاف وستمائة وسبعون ونيف ، ومما مدحه به العلامة الامام الشهير أبو محمد عبد الواحد بن عاشر قوله :

ياحادي الاظعان في الرياشي	أبلغ سلامي فخرنا العياشي
من نوره بدا وفضله غدا	تحدو به الركبان والمواشي
طود الهدى عين الندى فردالورى	فريد وقته الاسمام الحاشي
لله سيف صارم وقاصم	ظهر العدا كبيرهم والناشي
يتركهم عند اللقا رهن الشقا	صرعى على الارض كما الكباشي
يامسلمين تهنيكم حياتكم	ما عاش فيكم سيدي العياشي
أنام لا شك الانام الكل في	ظل الامان لين الفراش
ياعاذلي في حبه عذلك دع	ولا تحدثني حديث الواشي
اني امرء بالحسن مفتون وعن	جميع لوم لائمي عاشي
هديتي الى الكرام ابرزت	سلامها للسامعين فاشي

وثناء الناس عليه كثير فقد أثنى عليه الشيخ مبارة كما مر ، وابو عبد الله محمد العربي الفاسي ، وابن ابي بكر الدلائي وغيرهم

وكان رحمه الله مجاب الدعوة ما دعا الله في شيء الا استجيب له شوهد ذلك منه مرارا ومن ادعيته المحفوظة عنه : « اللهم اني أسألك باسمك السريع المجيب الذي خزنت فيه فواتح رحمتك وخواتم ارادتك وسرعة اجابتك ياسريع لمن قصده ياقريب ممن سأله يامجيب من دعاه أسرع لي بقضاء حاجتي وبلوغ ارادتي ياسميع يامجيب ياسريع ياقريب آمين آمين آمين يارب العالمين »

وكان فقيها مشاركا في الفنون وله اتباع ظهرت عليهم بركاته ولاح عليهم سره ، ومن اتباعه : الشيخ ابو الوفاء اسماعيل بن سعيد الدكالي القاسمي صاحب الزاوية المشهورة ببلاد دكالة ومن اتباعه أيضا : المقدم

المجاهد ابو العباس الخضر غيلان الجرفطي وقد ذكر ذلك الشيخ ابو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي في رسالة كتب بها الى المجاهد المذكور يقول فيها ما نصه : « من عبيد الله تعالى محمد بن ناصر كان الله له الى الفارس القائم بنصر دين الله البائع نفسه في اعلاء كلمة الله الخضر غيلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، واني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد فاني احبك في الله وان لساني لهج بالتضرع الى الله تعالى في نصرك على الكافرين مذ خرج النجليز والباعث على اعلامك بهذا امران احدهما : قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا احب احدكم اخاه فليعلمه » والثاني : استنهاض همتك للجد فيما انت بصدده من الجهاد وعدم الالتفات الى ما تورط فيه غيرك من الاغترار بالفاني ، فانت ما دمت في هذا على طريق صالحة ، وعباد الله الصالحون كلهم معك ، ورحم الله صاحبك الذي اسس لك هذه الطريق الصالحة ، ورباك عليها أعني امير المؤمنين نور البلاد المغربية سيدي محمد العياشي جزاه الله عنا واياك وعن المسلمين خيرا ، فهو سيدنا وسيد غيرنا الذي ندين الله بمحبته ويجب علينا وعلى المسلمين تعظيمه وتعظيم من هو منه بسبيل ، ثم قال الشيخ ابن ناصر رحمه الله بعد كلام ما نصه : « وتستوصي بآل سيدنا وسيد المسلمين في زمانه كافة خيرا سيدي محمد العياشي فهو عزك وبتعظيمهم قوام امرك وهذا من نصيحتي اليك التي هي من نتيجة محبتنا لك فعاملهم بالوفاء ، ولا تؤاخذهم بالجفاء » انتهى المقصود منه .

ولولد سيدي محمد العياشي وهو الفقيه العلامة سيدي عبد الله ارجوزة نظم فيها أهل بدر وتوسل بهم الى الله تعالى في هلاك الذين تمالأوا على قتل ابيه ، فلم تمض الا مدة يسيرة حتى دارت عليهم دائرة السوء ولم ينج منهم احد .

وفي « البستان » : « ان ابا عبد الله محمد الحاج الدلائي دخل بلاد الغرب وذلك بعد مقتل أبي عبد الله العياشي فلقيه ولده سيدي عبد الله المذكور بجموع الغرب بوادي الطين فوقعت الحرب في قبائل وانتهبت حللهم

ومواشيهم ، انتهى : وكـان ذلك فـي اوائل ربيـع الاول سنـة ثلاث وخمسيـن وألـف

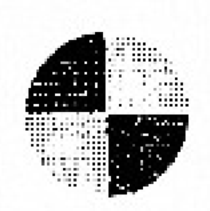
ولسيدى عبد الله ابن سيدى محمد العياشي في بعـض زياراتـه لابيه قولـه :

أتينـا اليـك وانفسنـا تكاد من الخوف منـك تذوب
ولم ندر اين هـواك الذى تحب فتنحو اليـه القلـوب
أقمنا فخفنـا وجئنا فخفنـا فمن خوفنا قد دهتنـا خطوب
فها نحن من خوفنا منك حيرى وهانحن من خوفنا منك نبيب

قال اليفرني في «الصفوة» : واخبرني حافده العلامة قاضي القضاة ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد العياشي ان جـده سيـدى عبد الله المذكور كان قد اصابه مرض اعيى الاطباء علاجه فلما طال عليـه أمره رغب منهم ان يحملوه الى ضريح الشيخ سيدي الحاج احمد بن عاشر بسلا فلما وقف على الضريح انشد ارتجـالا :

أقـول لدائي اذ تفاقـم امـره وعز الدوا من كل من هو ناصرى
الا فانصرف بالله عنى اننـى انا اليوم جار للولي ابـن عاشر

قال فكانما نشط من عقال وانقشع عنه سحاب ذلك الضرر في الحال . وكانت وفاة سيدي عبد الله المذكور ليلة عرفة سنة ثلاث وسبعين والـف ودفن بجوار الولي الاشهر الشيخ ابي سلهام من بلاد الغرب وبنت عليـه قبة صغيرة ، واخبار العياشيين ومحاسنهم كثيرة وبيتهم بيت خيـر وصـلاح رحمهم الله ونفعنا بهـم آمين



ظهور اهل زاوية الدلاء واوليتهم بجبال تادلا وما يتبع ذلك

اما نسبهم فهم من برابرة مجاط بطن من صنهاجة حسبما ذكره ابن خلدون وغيره ، وكان مبدأ امر اهل زاوية الدلاء ان جدهم الولى الاشهر سيدى ابا بكر بن محمد وهو المعروف بحمى بن سعيد بن احمد بن عمر ابن يسرى المجاطى كان ممن اخذ عن الشيخ الصالح ابى عمرو القسطلى دفين مراكش وسكن الدلاء واتخذ هنالك زاوية ، فجاء ولده الولى الاظهر أبو عبد الله محمد بن ابى بكر فكمل من الفضائل ما بقى وابدى من الاسرار ما خفى فتناقل الركبان حديث هذه الزاوية وقصدها الناس من كل ناحية الى ان كان من اولاد الرجلين ما نذكره .

واخذ الشيخ محمد (فتحا) بن ابى بكر عن الشيخ ابى عبد الله محمد الشرقى فحصل له من الحظوة والوجاهة فوق ما كان لسائر من عاصره وكان اعلام الوقت كالحافظ ابى العباس المقرى ، والحافظ ابى العباس بن يوسف الفاسى ، والامام ابى محمد بن عاشر ، والفقيه العلامة ابى عبد الله محمد ميارة وغيرهم يقصدون زيارته والتبرك به ويراجعونه فى عويص المسائل العلمية ، وكان رحمه الله عالما حافظا دراكا متوسعا فى علمى التفسير والحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفى غيرها وكانت وفاته سنة ست واربعين والف .

قال اليفرنى : وحدثنى غير واحد من اشياخنا انه لما دنت وفاته جمع اولاده وعشيرته وقال لهم : « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده » وانا اقول لكم : « ولا من اغترف غرفة بيده » يشير بذلك الى ما تجاذبوه من امر الرياسة بعده وذلك من مكاشفاته رضى الله عنه . وقد اعترض عليه بعض الطلبة فى قوله : وأنا أقول ، بأنه سوء ادب لمقابلة كلام الله بكلامه ، واجاب عنه حافده ، وهو الفقيه العلامة الشهير ابو عبد الله محمد بن احمد بن

المناوى بن محمد بن ابى بكر ، برسالة مستقلة

ولما توفى خلف من الاولاد عدة فكان اكبرهم : ابو عبد الله محمد الملقب بالحاج لانه حج مع أبيه ووحده مرارا ، ويقال : انه خطب الناس يوم عرفة على ظهر الجبل لامر اقتضاه الحال ولم يكن ذلك لاحد من أهل المغرب قبله . وفى أيامه تكامل أمر أهل الدلاء وشاع ذكرهم .

وكان للزاوية فى أيامه وأيام أبيه صيت عظيم وكان بها من معاطاة العلوم والدؤوب على درسها واقرائها وقراءتها ليلا ونهارا ما تخرج به جماعة من صدور العلماء وأعيانهم كالشيخ اليوسى وأضرابه ، حتى كانت اليها الرحلة فى المغرب لايعدوها الطالب ولا يأمل سواها الراغب .

وتمهد الامر بها لابى عبد الله محمد الحاج وأولاده واخوانه وبنى عمه الى أن تملك مدينة فاس ومدينة مكناسة وأحوازهما وكافة القطر الشادلى .

قال فى «نشر المثانى» : وفى سنة ست وأربعين وألف كان قيام محمد الحاج الدلائى على الشيخ ابن زيدان» قلت : ولعل المكاتبة الآتى بيانها بعد انما كانت فى هذا التاريخ .

وقال فى « البستان » : «وفى سنة خمسين وألف زحف محمد الحاج الدلائى بعساكر البربر الى مكناسة فاستولى عليها ثم زاد الى فاس فاعترضه أبو عبد الله العياشى بجموع أهل الغرب ووقعت الحرب بينهما فانهزم العياشى وسار محمد الحاج لحصار فاس فرجع العياشى وأعاد حربا ثانية ، فانهزم محمد الحاج وعاد الى بلاده . وفى سنة احدى وخمسين وألف بعد موت العياشى نزل محمد الحاج على فاس وحاصرها ستة أشهر وقطع عنها المواد وجميع المرافق الى أن لحقهم الجهد وارتفعت الاسعار

فدخلوا تحت حكمه* ولما قام اجتمعت عليه برابرة ملوية وأذعنوا له واعصوصبوا عليه ، وقد كانت بينه وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وقعة أبي عقبة فانهزم فيها السلطان المذكور وانتشر جمعه وذلك في سنة ثمان وأربعين وألف ، ومن ثم قطع النظر عما وراء وادي العبيد

ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين اهل زاوية الدلاء من المراسلات والمعاتبات

قال في « النزهة » : وفي أيام السلطان محمد الشيخ بن زيدان قويت شوكة اهل الدلاء وانتشرت كلمتهم في بلاد الغرب ، وضعف الشيخ عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم ،وبعث اليهم قاضيه العلامة الفقيه ابا عبد الله محمدا المزوار المراكشي يطلب منهم ترك الشنآن والرجوع الى اجتماع الكلمة ، ويحتج عليهم بان اباهم الولي الصالح سيدي محمد بن أبي بكر كان قد بايع أخاه الوليد بن زيدان ، والتزم طاعته وانهم أولى الناس باقتفاء طريقه واتباع منهاجه ، فلما بلغهم القاضي المذكور وادى الرسالة وتلى مافي العيبة وبين قصده اعتذروا اليه بمسائل وتعللوا بوجوه .

قال « اليفرني » : وقد وقفت على رسالة كتب بها السلطان محمد

---

* ذكر سيدي عبد السلام القادري في كتابه المقصد الاحمد:أن محمدا الحاج الدلائي حاصر المعمورة وحضر معه في حصارها سيدي محمد بن عبد الله معن الاندلسي وولده سيدي أحمد ولم يذكر تاريخ الحصار المذكور ولعله وقع عام ١٠٥٢ بعد استيلائه على فاس وينبغي تحقيق هذا التاريخ بالمظان الاوربية انظر المقصد ج ١ ص ٨٤ وحكى القادري في النشر في حوادث سنة ١٠٥٧ خروج الناس للجهاد بحلق المعمورة قال: ثم رجعوا بعد أيام ومات كثير منهم بمرض اصابهم من ماء شربوه هنالك اهـ وكانت وفاة سيدي محمد ابن عبد الله معن ثالث جمدى الثانية سنة ١٠٦٢

الشيخ المذكور اليهم بعد رجوع القاضي من السفارة وهذا نص القدر المحتاج اليه منها بعد الخطبة ، ولنصرف عنان الغرض لمن عينـاه تمسون العتاب والمفترض ، من هم لدقائق المجاز ضابطون ، وفي حقائق الجواز خابطون ، أهل وطن الدلاء لمن هو لورود الشراب محتاج ، السيد ابو القاسم ابن ابراهيم والسيد ابو عمرو والسيد محمد الحاج ، ومـن لنشر صحف الانصاف منهم مطابق ، كالسيد المناوي والسيد عبد الخالق ، ولا زائـد لا قصد ايقاظكم من الغفوة التي طال كطلوع الشمس مـن المغرب ليلها ، وامتد كارض المحشر فرسخها وميلها ، هل هذا منكـم استخفاف بحضرة الخلائف او تعام وتصام عما يجب على الرعايا من لازم الوظائف ؟ هـذا من العار الماحي لصحف المناقب ، ولا يلوي بمن توخاه الا للمهيع الذي لا تحمد لمنتجعه العواقب ، وخصوصا منلكم الذي شـق عصا الشقاق ، وشرع يمد ايدي الاطماع في استخلاص قبائل الآفاق ، وكنتـم لا تدرون لباس القمصان ولا الشواشي ، الى أن جسركم على وطء الغرب فاخذكم معـه المغتر محمد العياشي ، فنبذتم موائد الضيوف ، وتقلدتم بلا حياء السيوف ، واعانكم اضطراب القبائل مع وقوع الجوع ، ومن مضى الى اي قطـر تعذر عليه الرجوع ، الى أن أمكنتم من أزمتها الرعايا وكل عنيـد من ربـاط تازا الى وادي العبيد ، فاستحليتم سكر الجبايات من الابريز والفضـة الى أن جمعتم منه مالا ينحصر في عد ، بواسطة القرافي والمنتصر من غيـر أن تنفقوه على اقامة جند ، ولا انتفع به الا أتباع الموسسات وشياطيـن الفساد والشر ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن غمار عموم الزرابر ، وأقعدكم في القباب على الاسرة وفي بيوت الله على الكراسي والمنابر ، عويتم علينـا معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة ، لتكون عزيمة نهوضـنا اليكـم معطلة صعبة ، وان لا تدرى أين تميل النفوس ، أألتلك الصحاري ام الـى بليغ السوس ، وهذا المغرب لا يخلو ملآن من نواميس كل كاهن ومدع فرقار ، تمسي فيه البومة خاملة وتصبح بالمخلب والمنقار ، ومعادين الهمـز واللمز والمجون ، هم أهـل الزوايا والديـارات والفنـادق والاسواق

والسجون ، لكن من صفقه يمينه لا يبكي ، ومن ألقى بيده الى التهلكة لا يشكي ، أمهلناكم وأمهلناكم لعوائدكم من العبادة والطعام ، فطلعتم لنا في الحلوق عظاما ورعاع ، لم تعلم الفقراء الا بحرمة جاه الدخيل ، على صلح أو زواج أو لسماح البخيل ، وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من أطاع أو عصى ، من وجدة الى حدود السوس الاقصى ، فنزهد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية واهلها ، بشرط ان تفيقوا من سنة الغفلة وجهلها ، وان أمسكتم أقدام الانقياد عن سلوك سبيل السداد وقبول سوله ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، فقد شيعنا لكم فقيهنا وقاضينا أبا عبد الله محمد المزوار ، فصددتموه أرهب صد ، وانقلب عن المحاورة مردودا أقبح رد ، لو لم تبال بكم بالفكر والذكر ، ما صرفنا فيما سلف وصيفنا الامين مباركا السوسي ، فشيد ضريح السيد محمد بن أبي بكر ، فدنستم خالص عرضه فانه كان لكم علينا بريدا وبصيرة ، بما انطوت عليه منكم غرة السريرة ، فقص علينا ، دون أن نفحصه ، ان عين الجحش فراره ، ولا يسعنا ان ندعكم مع أشراف سجلماسة وبني موسى تلعبون بنا كهر الغالية في القفص ، لايعطى غناء غلته الا بوخز المسال التي تكلفه الرقص ، وحاصل الغرض تأدية البيعة كما عقدها أبوكم الابر الجواد المرحوم الفاضل المجيد لاخينا الارضي مولاي الوليد ، لتنتظم كلمة الاسلام في الاقطار ، اذ لو فعلتم لاقتفى أثركم جموع المنتجعين والامصار ، وان عظمت عليكم مفارقة تقبيل الرأس واليد والركبة فانتظروا صبيحة طلوعي عليكم طلوع الفجر على غسق الليل ، بخضرم خضرم من الرماة والخيل ، ونؤم بعدكم دولة الاشراف الصحراوية وتلوى على زاوية الساحل الى أن تعود الايالة الشيخية علوية عالية ، بالصيت والذكر ، او تهوى الى حضيض بني سعد بن بكر » انتهى .

وكان جواب أهل زاوية الدلاء عن هذه الرسالة ما حاصله باختصار : ولا زائد بعد حمد الله الا أن مسطوركم الاحرش لما ورد ساحتنا سلب الاذهان

والعقوق فلا بجارحة الا وبها حصة من الملسين ، فكادت الخيالي تسقط الشايم فصلا من الجين ، فيه من صوت زجر لينسى عليك نفوق اسمين أسمعنا غرائب ثم نمر مرارتها على أهل الدهر الآتي والغابر ، لو صدح بها على جبانة لنهض أهل القبر ، حتى سمتنا بالخسف في أسواق المذلة والهوان ، وما نحن الاعز وركن لكل من طرفه وصمة أو غمه وأنت تعمل بتدبير واشارة الاعلاج المجبولين على طبائع الخداع والغش ، وتبني على قواعد مالكم بها من عرين ولا عش ، ومن الدليل الشاهد والبرهان ، فتكهم بأخيك مع مشاورة النسوان ، على غيب من الجند والديوان ، فلا تدعهم يخدعونك وهم سلبوا روح جدك السمي من غمد الجسد ، وحملوا عامته في محلاة من مسد ، وايم الله لئن داموا لسنك في الغرب بمثابة لتلقوا عليك ثلاثا اوطانه . وأما نحن فبيعة والدنا رحمه الله لم تزل لنا في الاعناق ، ولا ينبغي أن تعاد فكرر ، كالقهير لمن تحرر ، وأيضا منعنا من تجديدها انسلال البربر عن ساحتنا ، فكون أقوى سبب لفضيحتنا وأجلها هذا الاجدل الذي لا تؤده سموم الليالي ولا حرارة قيظ المصيف ، مولانا محمد بن مولانا الشريف ، عقاب أشهب على قنة كل عقبة لم يقنعه عن المال دون حسم الرقبة ، وربما غرتنا غفلة فيشن الغارة على شعوب شعاب ملوية ، او ينشر جيوشه على رباط تازا بالرايات والالوية ، سيما وجناحاه ذوو النفوس النفيسة ، برابر صنهاجة وعرب دخيسة ، بسراة النزوات ، بالحلة والمحال والغزوات ، والعياشي كما تعلمون كانت همة هجرته أولا لملة أهل الشرك ، ثم مد خطا العزم الى درجة الملك . وأما وصيفكم الامين مبارك السوسي فحيث اناخ علينا ككل الاقامة لاختطاط ضريح الوالدين رحمهما الله فمنا بوظيف حقه الظاهر والباطن ، حيث اختبر بعين الحقيقة أرجاء أغوار المواطن ، ولاشك أن حال مطالعته هي التي ارخصت لنا في سوق خواطركم الاسعار ، الى أن نصبتم لنا بعد الرضا حبائل الاذعار الجالبة للعار ، وجد قبائلنا متبددة على ضم جيوب الصيف ، وأعيانهم مقتدين على بالجبول بدون رمح ولا مدفع ولا سيف ،

فخالهم على غرة غنيمة باردة ، وما علم أنهم أغوال الغيل صادرة وواردة ، فان كانت معاينته هي التي أطمعتك أن يعودوا بعد العز نوائب فما دري أن نه كان الخاوي الخائب ، من ركب الخيــل لنفسه دون راتب المخزن ، لا ترضى همته أن يهان فيحزن ، وقاضيك السيد محمد المزوار حيث عاين وفود الاقاليم منتشرة كالجراد على الازقة والادراب دون من لازم خدمــه الابواب ، تحقق عيانا ان انتظام شمل المالك والمملوك لا يكون الا على عظماء الملوك ، فقص عليكم وعلى من حضر ما اعتقد وسمع ونظر ، وحتى الآن ان قصدتم المغرب أو حصن فاس لا تنالكم من جانبنا مســاءة ولا بأس ، فبعد أن يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة قرار ، يكون لنا بعد ذلك حكم الاختيار ، بين أن نؤمن لك أو نترك لــك الديــار ، أو نستصرخ بمن هو ملك شريف حقيقي وسلطان ، له شغف أكثر منــك في ضبط الاوطان ، فتقابل اذذاك القصورة بالساط ، ونلقي بطانة من شاط لاسنان الامشاط ، أيهما للمغرب غلب ، نؤدي له على الرغم مــا طلب ، وان قنعت بحوز الحمراء من مراكش ، ورفضت عنك معاناة الهراش والمناوش ، فدعنا ومراعــاة من تجارتــه الرئاسة ، وهمته اشتراء نفيس السياســة ضرغــام غاب سجلماسة . وأمــا صاحب ايليــغ السوس فما مــراده ومراد ذويــه الا غنيمــة سلامــة الاعراض وتجارة سلب النـفوس . وفيما تلوناه عليك من القصص كفايــة فلئن غادرتنا مستترين في حرمــة الاحترام والوقار فنعم ، وان زاحمتنا بمنكب الهوان يدافعك عنا من ادعــى انه زعم ، ولن طرقنا مناخ عزمك على عبور وادي العبيد او ام الربيــع ، فهنالك يجمع الله بــين من يشتري ويبيــع ، والسلام . وكتب عن اذن جمهور اخوته عبد الله المسناوي ابن محمد بن ابي بكــر الدلائي في يــوم الاحد الثاني والعشرين مــن رجب إنتهــى

ولما رأى السلطان محمد الشيخ بن زيدان تماصي أهل زاوية الـدلاء عليه واستحكام امر الغرب لهم وتقويهم بالمدد والعدد صرف عنانــه عــن مقارعتهم ومال الى مسالمتهم وقطع النظر عما في أيديهم والامر كله لله .

ذكر ما دار بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين الامير المولى محمد بن الشريف رحمهما الله تعالى

كانت المكاتبات والمراسلات تقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدى وبين الامير المولى محمد بن الشريف السجلماسى ، فمن ذلك رسالة بعث بها السلطان المذكور الى الامير المذكور فكان من فصولها ان قال له : « وبلغنى انك تعلن فى النوادى من الخواصر والبوادي : ان جرثومة انتمائنا لبنى سعد بن بكر بن هوازن ، مع انها فى بنى نزار بن معد وافية المكايل ثقيلة الموازن ، وانا من تيدسى أحد القصور بوادى درعه ، ومنها انبت الله اصلنا فازهر غصنه واثمر فرعه ، فلئن كان غرضك حط منطقة قدرنا من اللب فهذا من العلى عليك عار ، وان تحاول محو من صحيفة النسب ، فتلك دعوى لا تغلى او ترخص أسواق الاسعار ، وقد صرفنا اليك نسخة من «مناهج الصفاء فى أخبار الشرفاء» ليطلع عليها الفارك من الملوك فيزول ما بالخاطر من اشراك الشكوك » .

فأجابه المولى محمد بن الشريف عن هذا الفصل بأن قال له : « وعتابكم اننا عزوناكم لبنى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور ، وناشرون لذلك فى المحلل والمدن والقصور ، تالله ما فهنا بذلك عن معايرة لكم ولا جهل ولا بان نضيفكم لمن لا عشيرة له ولا اهل ، بل اعتمدنا فى ذلك بحمد الله على ما نقله الثقات المورخون لاخبار الناس ، من علماء مراكش وتلمسان وفاس ، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر ، فما وجدكم الا من بنى سعد بن بكر ، ولا معول على كتاب المنصور من القشاتلة ، ولا ابن القاضى المكناسى ، ولا ابن عسكر الشريف الشفشاونى ، وسواهم ، اذ الكل أهل بساطكم ، ومحل مزاحكم وانبساطكم ، ولقد بلغتنا نسخة « مناهل الصفا » فلم تجد فيها موردا عذب وصفا ، وكفى دليلا بالباطن والظاهر ، قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر ، ومع هذا فلم نعتمد دفعكم عن شرف

النسب ، ولا رفعكم على ما وسمكم الله به من زينة الحسب » انتهى الغرض من هذه الرسالة . واشار بقوله قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر الى مــا اتفق له مع المنصور حين جالسه على المائدة وقال له المنصور : «أين اجتمعنا؟ فقال له ابن طاهر : « على هذا الخوان » والحكاية قد مرت في صدر هــذه الدولة السعدية .

ومما كتب به السلطان محمد الشيخ بن زيدان للامير المذكور ايضا وذلك حين غلب المولى محمد على فاس وملكها ، فكتب اليه السلطان المذكور يحذره من غائلة أهل الغرب وغدرهم برسالة من انشاء وزيره القائد أبـي عبد الله محمد بن يحيى آجانا وفي آخرها قصيدة من انشاء القائد المذكور وهــي :

ياشبل مولانا الشريف محمــدا	شمس السعادة والهلال الاكمـل
ملأت مهابتك الكبيرة مغربـا	فزهت بمشرقه اصبهان وموصل
صقر الصياصي على الاعادي صائل	طورا يغير وفي الملاحم يبتـل
أنيابه البيض الحداد صـوارم	وبكـل ظفـر منه أبتر مفصـل
فجناحك الجرد العتاق وان نظر	ت الى تلمسان يطيش الشمـأل
هابتـك ثـوار الاقالم عنـوة	والوحش فهي يغص منها المنهـل
قد طبت ان عرقت عروقك في الوغا	خلت العنابر يسـف فيهـا المندل
ياما لكــا سعدت بـه اوطانـه	فيما مضى وزهـا بـه المستقبـل
نادى بك النصر العزيز لمغرب	ولكـم على فاس الجديد الكلكـل
فاحذر كما حذر الغراب ولاتكن	كالبط يغفـو عن مطاه القوقـل
واعدل تفوز ولا تواخي طامعـا	ترد العداة وتمم عنك العـذل
لا تصد من جبل البرابر واصطبر	حتى يهون على الجواسيس مدخل
لا تأمنن الاعراب في أقوالهـا	واقمع فضاضة من يجور ويختـل
وعليك بالغارات في اوطانهـا	بكتائب تسبـي الاثاث وتقتـل
واغضض ولا تردي تجار مدائن	يبقى عليك الستر دأبا يسبـل
لا تتخذ من نحو فاس صاحبـا	أو حاكما يصل الامور ويفصـل

كالبغل عادته الفرار ولن غدا ... في مربط فمتى استفزك يركل

لا تنقلن الى الصحا ري ذخائرا ... فيقول أهل الغرب حتما يرحل

واضرب لبيت الملك أوتاد الدها ... تزداد صيتا في القلوب وتقبل

الف وفود الغرب واعرف قدرها ... وتروم كل قبيلة لا تجهل

وابسط يديك على العيال هنيئة ... واذا غرست عروق عدل تنقل

هذي وصايا قد اضعنا حقوقها ... في آخر مما نحاه الاول

فمتى نشد الى المعالي رحالنا ... يأباه نصر والمقادير تخذل

فرضينا متبعين أحكام القضا ... والله يحكم ما يريد ويعدل

فاجابه المولى محمد بن الشريف في سنة تسع وخمسين والسف بقصيدة ختم بها جوابه من انشاء الفقيه ابى عبد الله محمد بن سودة الفاسي ونصها :

أمحمد الشيخ بن زيدان الرضا ... فخر الخلائف والهمام الاكمل

فلقد اجبتك عما قد كاتبتني ... نظما ونثرا كي ترى ما يمثل

انى ابث لكم وصايا جمة ... ان انت للنصح المصرح تقبل

فالى متى طول الرقاد أما ترى ... أضغان ملكك كل يوم ترحل

والدهر ينتف في رياش جناحكم ... ويدنس من الصفا ما تغسل

ما من مليك ذاق لذة راحة ... الا تجلى له الهوان فيستفحل

أحرى الذى كرت شقا نواره ... يعوى عليه لكل عاد معقل

تحتال تخدعه بكل حبالة ... حتى يصاد كما يصاد النعثل

فاستيقظن من الخمار ومن رعي ... في أرض آساد الشرى لا يغفل

وانفض غبار الذل واخلع ثوبه ... يزداد وجهك بهجة ويهلل

ضيعت ملكك في الرخا وتركته ... للخزى في دار الهوان يذلل

وركنت للظل الوريف وغادة ... يزهو البديع بها اذا ما ترفل

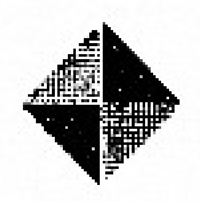
واذا اردت دوام هيبة همة ... وتدوم في ستر عليكم يسبل

دع عنك في الحمرا مروق سفرجل ... ومدربلا بالزعفران يفلفل

واركب مطايا الصافنات الى الوغا ... اما تحوز مزية او تقتل

واقرع طبولا للرعاة وفي الوغا	يجبى الى الحرب العوان الجحفل
وخض القفار وهز رمحا وادرع	واثن العنان وفي يمينك منصل
خاطر بنفسك في الفيافي جائلا	تردى العدو وكل ليل منـزل
واصطد نهارك بالسلاق وبعدها	عقبانها وكذاك صقر اجدل
وقد الجيوش كما الوحوش ولاتدع	من يعص أمرك وازجرنه فيفعل
جنب آجانا الجبن في تدبيره	واصحب شجاعا للذخائر يبذل
لا تجمعن من العلوج بطانة	فطباعها الغدر البليغ الاعجل
اما الشيانة فاحذرن من غيها	لا بد تغدر بالاخير وتخذل
ترجو عواقب دولة لنفوسها	وتود من وافى جنابك يجفل
يعطف عليك الدهر بعد نفوره	فتعود ايام السعود وتقبل
ما ذاق زيدان ابوك حلاوة	من ملكه حتى غذاه الحنظل
فاذا امتثلت صواب صدق وصيتي	يصفى الزمان لكم ويصفو المنهل

واعلم ان هذه الرسائل والاشعار التى اثبتناها هنا نازلة كما ترى عن درجة البلاغة ، وعادمة لما تستحقه من فن الوزن ونقد الصناعة ، ولكن لما كان الكتاب كتاب تاريخ واخبار ، لا كتاب ادب واشعار ، لم نبال بذلك ، اذ كان المقصود منها ما تضمنته من بيان الاحوال ، والافصاح عنها على أصح منوال ، فان هذه الرسائل هي عماد التاريخ وملاكه ، وتازلة منه بالمحل الذي نزلت من الدر اسلاكه ، فلذا اكثرنا منها في هذا الكتاب .
والله تعالى الملهم للصواب .



وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله

كانت وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله سنة أربع وستين والف ، وفي « نشر المثاني » أنه توفي قتيلا سنة ثلاث وستين والف ودفن بقبور الاشراف من قصبة مراكش في روضة أبيه وعشيرته ومما نقش على رخامة قبره قول القائل :

لبدر سموات المعالى افول   وفي ذا الضريح كان منه نزول
محمد الشيخ بن زيدان غاله   حمام فحزن العالمين طويل
امام الانام ذو المآثر فعله   له غرة في الصالحات جميل
حباه اله العرش رحمى تخصه   بما هو في الفردوس منه كفيل

وزراؤه : يحيى آجانا وولده محمد وغيرهما ، وقضاته : ابو مهدى عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ، وابو عبد الله محمد المزوار رحم الله الجميع

الخبر عن دولة السلطان ابي العباس احمد بن محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله

لما توفي السلطان محمد الشيخ في التاريخ المتقدم بويع ابنه ابو العباس أحمد ، والعامة يقولون مولاى العباس بدون لفظ الكنية ، وقام مقام ابيه في جميع ما كان بيده الا ان حي الشبانات ، وهم اخواله ، قويت شوكتهم في ايامه وغلظ امرهم عليه ، ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به ، فضايقوه وحاصروه بمراكش اشهرا

ولما رأت امه ان الامر لا يزيد الا شدة كلمته في ان يذهب الى اخواله ويأخذ بقلوبهم ويزيل ما في نفوسهم عليه ، فذهب اليهم فلما تمكنوا منه قتلوه غيلة ، وأقبلوا الى مراكش مسرعين وبايعوا فيها لاميرهم عبد

الكريم بن ابى بكر الشبانى ثم الحريزى كما سياتى

وكان مقتل السلطان أبى العباس رحمه الله سنة تسع وستين وألف كذا فى «النزهة» . والذى فى «نشر المثانى» : أنــه قتـل سنة خمس وستين والف والله اعلم بغيبه

قال اليفرنى رحمه الله وقد أذكرتنى هذه الفعلة قول المولى محمد بن الشريف فى قصيدته السابقة :

اما الشبانة فاحذرن من غيهـا   لا بد تغدر بالاخيـر وتخـذل

فان الامر وقع كما قال ، مــع أن المولى محمد بن الشريف كتب بالقصيدة المذكورة للسلطان محمد الشيخ فى سنة تسع وخمسين وألف ، وغدر الشبانات للسلطان أبى العباس كان سنة تسع وستين وألف ، ولعل المولى محمد بن الشريف تلقى ذلك من بعض أهـل الكشف أو نحوهـم ، فان كلامه كثيرا ما يقع فيه مثل هذا ، وبمهلـك السلطان أبى العباس رحمـه الله انقرضت دولة السعديين من آل زيدان ، وانهـار جرفها واطـوى بساطها ، وسبحان من لا يبيد ملكـه ولا يزول سلطانه لااله الا هـو العزيز الحكيم .

الخبر عن دولة الشبانات بمراكش واعمالها

وما آل اليه امرها من دثورها واضمحلالها

لمـا قتل السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان فى التاريخ المتقدم ثار كبير حى الشبانات بمراكش من عرب معقل ، وهـو الرئيس عبد الكريم بن القائد ابى بكر الشبانى ثم الحريزى ، وحريـز فخذ منها هى النبعة والصميم فيها ، وعبد الكريم هذا يعرف عند العامـة بكروم الحاج ، فدخل مراكش ، ودعا الناس الى بيعته فبايعوه بها سنـة تسع وستين والف ، وانتظمت له مملكـة مراكش ونواحيها ، وسار فـي

الناس سيرة حميدة ، وكان في أيامه الغلاء المؤرخ بعام سبعين وألف ، وهو غلاء مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتى أكلوا الجيف ، ولم يزل مستقيم الرأى بمراكش الى أن توفي بها سنة تسع وسبعين والف قبل أن يدخلها المولى الرشيد بن الشريف باربعين يوما .

وقال منويل : لما بايع أهل مراكش عبد الكريم الشباني خالفت عليه آسفي وأعمالها فغزاهم ثم رجع مفلولا الى مراكش ، وكانت المجاعة المشهورة عقب ذلك ، ثم قتله بعض اجناده دخل عليه فطعنه برمح فاتلفه ، ثم قبض على القاتل وقتل أيضا في الحين ، ولما توفي بايع الناس ولده أبا بكر بن عبد الكريم فبقي الى أن قدم المولى الرشيد وتقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم ، ثم تتبع الشبانات فأفناهم قتلا وأخرج عبد الكريم من قبره فأحرقه بالنار ، وانقرضت دولة الشبانات والبقاء لله وحده .

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث فنقول :

في سنة ثلاث عشرة والف في ثاني عشر محرم منها توفي المولى الكبير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدى السلاسي المعروف بابن حسون نسبة الى جده الحسن المذكور ، وهذا الشيخ هو دفين سلا الشهير بها أصله من سلاس مدشر على مرحلة من فاس ، ثم انتقل الى سلا ، وسبب انتقاله اليها : أنه كان بين أهل سلاس حروب ومقاتلات فكان الشيخ أبو محمد عبد الله اذا غلب أهل مدشره فرح واذا انهزموا حزن ففكر في نفسه وقال : « محبة الغلبة تستدعي محبة الشر للمسلمين وعلى عهد الله لا جلست في موضع أفرق فيه بين المسلمين وأبغى الشر لهم » فارتحل الى سلا . ولما استقر بها أتاه جماعة من عشيرته يراودونه على الرجوع الى بلادهم وحثوا عليه في ذلك فاخذ قدحا وملأه من ماء البحر ووضعه ثم قال لهم : « ما بال ماء البحر يضرب بعضه بعضا وتتلاطم أمواجه وما لهذا الماء الذي منه في القدح ساكن؟» فقالوا له: «لانه لم يبق في البحر » فقال لهم : « الغربة تصفي وتسكن » فعلموا مراده وانصرفوا آيسين ، قلت : وفي انتقاله من سلاس الى سلا اشارة لطيفة وهي ان لفظ

سلاس باعتبار تفكيكه سلو موصول بحرف السين وهو حرف ذو قرون ثلاثة متشعبة فيؤخذ منه بطريق الاشارة انه سلو موصول بكدر، بخلاف لفظ سلا فانه سلو محض ، وقد قدمنا في أخبار ابن الخطيب رحمه الله أن مدينـــة سلا كانت مقصدا للعباد واهل الخلوة والانفراد من لدن قديم ، أخذ الشيخ ابن حسون عن ابي محمد الهبطي عن أبي محمد الغزواني عن التباع عن الجزولي رضي الله عنهم ، وكان صاحب أحوال تهدى اليه الثياب الرفيعة فيأمر بها فتلقى في بيت مسدود تبقى فيه حتى يأكلهـا السوس وتضيع ، وكان كل يوم يصبح على بابه ارباب الآلات بالطبول والابواق يضربـــون عليه النوبة وغير ذلك ، وقد تكلم عليه الشيـــخ اليوسي في المحاضرات وحمله محملا جميلا ، وكرامات ابـــن حسون كثيرة شهيرة نفعنا الله بــــه وبـأمثـالــــه .

وفي السنة المذكورة في ربيع الاول منها توفي الشيخ العـارف بالله تعـالى العـــالم الرباني أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي جد السادة الفاسيين ، وأخباره ومناقبه شهيرة قد تكفل ببسطها كتاب « مرآة المحاسن » لابنه العلامة أبي عبد الله محمد العربي الفاسي الموضوع لهذا القصـــــد بالخصوص .

وفي سنة أربع عشرة وألف كان الغلاء العظيم بفاس ، قـال صاحب « الممتع » في ترجمة الشيخ أبي عبد اللـه محمد بــن حكيم الاندلسي : « انه اعتراه ذات يوم حال فجاء الى بعض افران فاس وجعل يقول لصاحب الفرن : « أغلق فرنك ، أغلق فرنك » ويصيح به فاذا بالغلاء العظيم حدث عقب ذلك ، وهو غلاء سنة أربع عشرة وألف فتعطل ذلك الفرن وغيـره من أفران المدينة ، وكان يمر بالطرقات فيقـــول : « الناس يأكلون عـــن أولادهم » ويكرر ذلك على جهة الانكار فجاء الغــلاء المذكور فكان الناس يأكلون في الاسواق عن أولادهم ولم يكن يعهد الاكـــل بالاسواق قبـــل ذلـك .

وفي سنة خمس عشرة وألف في ثاني جمادى منها جاء بفاس سيـــل

عظيم حتى غمر دور عمل الفخارين وذهب ببعض أنادر الزرع وحمل أمة من باب الفتـــوح فماتت .

وفي سنة اثنتين وعشرين وألف حدث الشر بفاس ووقع الغـــلاء حتى بيع القمح بأوقيتين وربع للمد ، وكثرت الموتى حـــتى ان صـــاحب المارستان أحصى من الموتى من عيد الاضحى من سنة اثنتيـــن وعشريـــن وألف الى ربيع النبوى من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة ، وخربت أطراف فاس وخلت المداشر ، ولم يبق بلمطة سوى الوحوش .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وألف وذلك عند فجر يوم السبت الثانـــى والعشرين من رجب منها حدثت زلزلة عظيمة بفاس ، ذكر صاحب «الممتع» في ترجمة ابى عبد الله بن حكيم المذكور آنفا : انه كان قبـــل الزلزلة المذكورة يصيح : المردومات المردومات ، فاذا بالزلزلة حدثت ، قال : فمـــا بقيت دار من دور فاس غالبا الا دخلتها الفؤس .

وفي خامس شعبان من السنة المذكورة نزل برد عظيم قدر بيـــض الدجاج وأكبر وأصغر ورىء حجر عظيم منها نزل على خيمة فخرقها وفر أهلها عنها وبقى لم يذب نحو ثلاثة أيام .

وفي سنة ست وثلاثين وألف توفى الامام العارف بالله تعالى أبو زيـــد عبد الرحمن بن محمد الفاسى المعروف بالعارف بالله وهو اخـــو ابـــى المحاسن المذكور آنفا ومناقبه شهيرة أيضا .

وفي السنة المذكورة كان الغلاء بفاس والمغرب .

وفي ســـنة أربعين وألف عشيـــة يوم الخميس ثالث ذى الحجة منهـــا توفى الشيخ الامام العلامة الهمام أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علـــى ابن عاشر الانصارى نسبا الاندلسى اصلا الفاسى منشأ ودارا الفقيه المشهور كان رحمه الله له الباع الطويل في المشاركة في العلوم مـــع غاية التحريـــر والتحقيق وله التاليف الحسان التى اغنى فيها عن الخبر العيان ، وكان ورعا سنيا وكان لا يحضر القراء على جنائز أقاربه ويقول : يمنعنى من ذلك أنهـــم يفسدون قراءة القرآن وقراءتهم تلك عذر في التخلف عن الجنائز .

وفي سنة اثنتين وخمسين وألف توفي الشيخ الامام أبـــو عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي كان رحمه الله منفنا عالما له عناية كبيرة بتحصيل المسائل وتقييدها ، والاطلاع على غريبها وشريدها ، وهو صاحب « مرآة المحاسن » وكان جوالا في بوادي المغـرب وحـواضره حتى أدته خاتمة المطاف الى مدينة تطاوين فألقى بها عصا التسيار الـى أن توفي في السنة المذكورة ثم نقل الى فاس بعد سنتين فوجد طريا رحمـــه اللـــه .

وفي سنة ستين وألف كان بالمغرب رخاء مفرط وغلاء مفرط وبلـغ صاع البر بمدينة سلا مثقالا وكاد ينعدم بالكلية وهو غلاء لم يعهد مثلـــه وانتشر الفساد في البلاد وحل بالمغرب وباء كبير حتى كان الناس يموتون في كل طريق رجالا ونساء نسأل الله العافية .

وفي سنة سبعين وألف كان الغلاء المفرط بالمغرب لاسيما بمراكش وهـذه السنة هي المعروفة عند العامة بسنة كروم الحاج لا زالوا يضربـــون المثل بغلائها الى اليوم والله تعالى يحفظ المسلمين ويجعلهم من كنفـــه فـي حصـــن حصين آميـــن .

تم الجـزء السادس ويليه الجزء السابـع

وأولـــــــــه :

الخبر عن دولة الاشراف السجلماسيين من آل علي الشريف وذكر نسبهم واوليتهم

فهرس الموضوعات

الخبر عن دولة السلطان أبى المعالى زيدان بن أحمد رحمه الله تعالى	٣
انحراف مراكش عن طاعة زيدان وبيعتهم لابى فارس وما نشأ عن ذلك من الفتنة	٤
نهوض السلطان زيدان لحرب أبى فارس وانهزامه بام الربيع ثم فراره الى تلمسان	٥
نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبى فارس واستيلاؤه على مراكش	٧
مجيء السلطان زيدان الى المغرب واستيلاؤه عليها وطرده زيدان عنها	٨
عود عبد الله بن الشيخ الى مراكش واستيلاؤه عليها وطرده زيدان عنها	٩
ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ وانقراض امره وعود زيدان الى مراكش	١٠
خروج جالية الاندلس من غرناطة واعمالها الى بلاد المغرب وغيرها	١١
استيلاء السلطان زيدان على فاس وفرار الشيخ بن المنصور عنها الى العرائش ثم الى طاغية الاصبنيول	١٢
عود عبد الله بن الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل مصطفى باشا رحمه الله	١٦

تلخيص خبر ابي فارس ومقتله رحمه الله تعالى	١٧
عود السلطان زيدان الى فاس واستيلاؤه عليها ثم اعراضه عنها سائر ايامه	١٨
استيلاء نصارى الاصبنيول على العرائش والسبب في ذلك	٢٠
بقية أخبار الشيخ ومقتله رحمه الله وتجاوز عنه	٢٢
رياسة ولي الله تعالى ابي عبد الله سيدي محمد العياشي على الجهاد ومبدأ امره في ذلك	٢٤
ثورة الفقيه ابي العباس احمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بابي محلي	٢٦
نهوض ابن ابي محلي الى سجلماسة ودرعة واستيلاؤه عليها ثم على مراكش بعدها	٣٠
استصراخ السلطان زيدان بابي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي ومقتل ابي محلي رحمه الله	٣٢
بقية أخبار أبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي وما دار بينه وبين السلطان زيدان رحمهما الله	٣٥
انعطاف الى خبر عبد الله بن الشيخ بفاس والثوار القائمين بها وما تخلل ذلك	٥٢
ثورة محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على اخيه عبد الله بن الشيخ وما وقع في ذلك	٥٧
وفاة عبد الله بن الشيخ	٥٩
قبة الخصة بجامع القرويين	٥٩
ثورة أبي زكرياء بن عبد المنعم بالسوس ومغالبته لابي حسون السجلماسي المعروف بابي دميعة على تارودانت	٦٠
بقية اخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمه الله	٦٦

الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك بن زيدان رحمه الله	٧٢
ظهور أبي عبد الله العياشي بسلا ومبايعة اكابر عصره له على الجهاد والقيام على الحق	٧٣
بقية اخبار السلطان عبد الملك بن زيدان ووفاته	٧٧
الخبر عن دولة السلطان أبي يزيد الوليد بن زيدان رحمه الله	٧٨
ظهور أبي حسون السملالي المعروف بأبي دميعة بالسوس ثم استيلاؤه على درعة وسجلماسة واعمالهما	٧٨
بقية اخبار السلطان الوليد بن زيدان ووفاته رحمه الله	٨٢
الخبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله	٨٣
بقية اخبار ابي عبد الله العياشي بسلا والثغور وما يتبع ذلك	٨٤
وفادة اعلام فاس واشرافها على ابي عبد الله العياشي بسلا	٨٥
ايقاع أبي عبد الله العياشي بنصارى الجديدة	٨٦
مقتل ابي عبد الله العياشي رحمه الله والسبب فيه	٩٠
ظهور أهل زاوية الدلاء واوليتهم بجبال تادلا وما يتبع ذلك	٩٦
ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين أهل زاوية الدلاء من المراسلات والمعاتبات	٩٨
ذكر ما دار بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين الامير المولى محمد بن الشريف رحمهما الله تعالى	١٠٣
وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله	١٠٧
الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ ابن زيدان رحمه الله	١٠٧

الخبر عن دولة الشبانات بمراكش واعمالها وما آل اليه امرها من دثورها واضمحلالها ١٠٨
وفاة الشيخ عبد الله بن حسون دفين سلا رحمه الله ١٠٩
وفاة الشيخ أبي المحاسن الفاسي رحمه الله ١١٠
وفاة الشيخ ابي زيد الفاسي المعروف بالعارف رحمه الله ١١١
وفاة الشيخ عبد الواحد بن عاشر رحمه الله ١١١
وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد العربي الفاسي رحمه الله ١١٢

فهرس الاعلام والقبائل

حـــرف (ا)

آدم ٤٤
آمغار ٥٨
آل زيدان ١٠٨
ابراهيم بن بغزى ٤٣
ابراهيم كانوت ٦٩ - ٧٠
أبو اسحق ابراهيم العقلى ٢٠
ابو اسحق ابراهيم الكلالى ٧٤
أبو بكر ٣
أبو بكر ابن عبد الكريم ١٠٩
أبو بكر بن محمد - حمى - ٩٦
أبو الحسن على بن حرزهم ٥٦
أبو الحسن على بن الطيب ٨٢
أبو الحسن على بن عبد الله السجلماسى ٢٦
أبو الحسن على بن عمران السلاسى ٣ - ١٤
أبو الحسن على بن محمد الادريسى - ابن ريسون - ٥٧
أبو لحسن على بن محمد السملالى ٦٠
أبو الحسن على بن يوسف الاندلسى - البيطار - ١٦
أبو حسون السملالى ١٠ - ٤٩ - ٧٨ - ٧٩
أبو الربيع سليمان بن محمد الشريف الزرهـــونى ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٨
أبو زكرياء يحيى بن عبد المنعـــم الحاحى ٢٩ - ٣٢ - ٣٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٦ - ٧١ - ٧٨ - ٧٩
أبو زيد السكتانى ٣٤
أبـو زيـد عبـد الرحمن القنامـى - رحو - ٨٦ - ٨٧
أبو زيـد عبد الرحمن الفاسى ١٤ - ٥٨ - ١١١
أبو سالم العياشى ٩٢
أبو سلهام ٩٥
أبـــو العباس احمد بــــن ادريس العمرانى ٢١
أبو العباس احمد بن زيدان ١٠٧ - ١٠٨
أبو العباس احمد بن محمد الفرديس التغلبى ٢٣

أبو العباس احمد بن منصور العلج ٤
أبو العباس أحمـد بن يوسف الفاسي ٢٢ - ٩٦
أبو العباس أحمد التواتي ٢٨
أبو العباس احمد الحسني ـ ادفال ـ ٣٥
أبو العباس احمد الدغوغي ٩٣
أبو العباس احمد السملالي ٧٨
أبو العباس احمد المقري ٢٢
أبو العباس احمد المريدي ٣٤
أبو العباس احمـد النقسيس ٢٢ - ٥٨
أبو العباس الاعرج ١٠
أبو العباس بن ابي محلي ٣٠
أبو العباس الخضرغيلان الجرفضي ٩٤
أبو العباس السبتي ٥ - ٣٣
أبو العباس السوداني ٢٨
أبو العباس الصومعي ٧١
أبو العباس المنجور ٢٨ - ٣٥
أبو عبد الله بن حكيم ١١١
أبو عبد الله بن سودة الفاسي ١٠٥
أبو عبد الله الرجراجي ٧٢
أبو عبد الله محمد بن ابي بكـر الدلائـي ٨٣ - ٩٠ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠٠
أبو عبد الله محمد بن احمد المالكي العياشي ٢٤ - ٢٥ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٨٠ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٧ - ٩٩
أبو عبـد الله محمد بن احمـد المسناوي ٩٦
أبو عبد الله محمد المكلاتي ٨٩
أبو عبد الله محمد بن احمد ميارة الفاسي ٨٥ - ٩٣ - ٩٦
أبو عبـد الله محمد بـن قاسم القصار ٣ - ٤ - ٦ - ٧ - ١٤
أبو عبـد الله محمد بن مبـارك الزعري ٢٧
أبو عبـد الله محمد بن ناصـر الدرعي ٩٤
أبو عبـد الله محمد بن يحـيي أجانا ١٠٥ - ١٠٧
أبو عبد الله محمد الحـاج الدلائي ٩٧ - ٩٩
أبو عبد الله محمد الجنان ٢٢
أبو عبد الله محمد الشرقي ٩٦
أبو عبـد الله محمد الشيخ بـن زيدان ٨٣
أبو عبـد الله محمد العـربي الفـاسي ٧٤ - ٧٦ - ٩٣ - ١١٠ - ١١٢

أبو عبد الله محمد اللمطي ـ المربوع ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٦ ـ ٥٨
أبو عبد الله محمد المزوار المراكشي ٩٨ ـ ١٠٠ ـ ١٠٧
أبو عبد الله محمد المكلاتي ١٥
أبو عثمان سعيد الجزائري ـ قدورة ـ ٣٠
أبو على الحسن الزياتي ٢٢
أبو عمرو القسطلي ٣٣ ـ ٤١ ـ ٩٦ ـ ٩٩
أبو فارس بن المنصور ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ١٣ ـ ١٦ ـ ١٧
أبو القاسم بن ابراهيم ٩٩
أبو القاسم بن ابى النعيم ٣ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٢٠ ـ ٥٨
أبو الليف ٢٣
أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي ١٤ ـ ١١٠ ـ ١١١
أبو محلى أحمد بن عبد الله ـ ٢٣ ـ ٢٦ ـ ٢٨ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٧ ـ ٤٩ ـ ٦٢ ـ ٦٤ ـ ٦٥
أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن قاسم الفشتالي ١٧
أبو محمد عبد الله بن أحمد الخالدي ـ ابن حسون ١٠٩
أبو محمد عبد الله العياشي ٨٦ ـ ٩٥
أبو محمد عبد الله الهبطي ٣٨ ـ ١١٠
أبو محمد عبد الواحد بن عاشر ٧٤ ـ ٧٦ ـ ٩٣ ـ ٩٦ ـ ١١١
أبو محمد العربي الفاسي ٢٣
أبو محمد الغزواني ١١٠
أبو مروان عبد الملك بن زيدان ٥٠ ـ ٥٩ ـ ٧٢ ـ ٧٧ ـ ٨٢
أبو المعالي زيدان بن أحمد المنصور السعدي ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٤ ـ ٣٦ ـ ٣٩ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٣ ـ ٨٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩
أبو مهدى عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ٦١ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٨ ـ ١٠٧
أبو الوفاء اسماعيل الدكالي ٩٣
أبو يزيد الوليد بن زيدان ٧٢ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٤ ـ ٩٨ ـ ١٠٠
أبو يعزى ٢٧ ـ ٧١

ابن أبي الجواد ٦٤
ابن أبي محلى ٢٩
ابن الاشعث ٣٩ ـ ٥٧
ابن حسون ١١٠
ابن حسين ٤١
ابن الخطيب ١١٠
ابن خلدون ٩٦
ابن دقراء ٤١
ابن الرومى ٤٤
ابن الزين ٨٩
ابن عبد الواسع ٤٩
ابن عبود ٧٦ ـ ٧٧
ابن عربى الحاتمى ٤٤
ابن عسكر ١٠٣
ابن عجيبة ٧١
ابن القاضى المكناسى ١٠٣
ابن المجراد ٢٢
ابن المعتز ٤٤
ابن اليسع ٢٦
ابن يعقوب اوزال ٤٢
ابن يعلى ٥٨
الابى ٤٢
الاتراك ٤٥
أحمد الاشهب ٥٨ ـ ٦٠
أحمد بن زيدان ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٥
أحمد بن عمرة ٥٦ ـ ٨٩
أحمد بن موسى الجزولى ٤١-٨٠
أحمد الشريف ٤٧
أحمد المنصور السعدى ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١١ ـ ٢٧ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤
الادارسة ٢٦
ادريس ١٩
ادريس بن احمد الجوطى العمرانى ٣٤
الاروام ٤٦
اسماعيل بن الشريف ٦٩ ـ ٨٢
الاصبنول ١٨ـ ٢٠ـ ٥٠ ـ٧٠
الافليشى ٢٣
الانجليز ٤٩
اندلس سلا ٧٣
أهل آزمور ٤٣ ـ ٤٦ ـ ٨٦
أهل الاندلس ١١ ـ ٥١ ـ ٥٨ـ ٥٩ـ ٦٠ـ٧٥ ـ٧٦ـ٩٠ـ٩٢
أهل بدر ٦٦ ـ ٩٤
أهل بلاد الهبط ٥٧
أهل الرودانت ٦٦
أهل تلمسان ٣٠ ـ ٥٢
أهل الجزائر ٧٥
أهل الحرة ٣٩
أهل الخلق ٧٥
أهل درعة ٦٦

أهل الدلاء ٩٠ - ٩٧ - ٩٨
أهل زاوية الدلاء ٨٤ - ٩٦ - ١٠٠ - ١٠٢
أهل سلا ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٧٤
أهل سلاس ١٠٩
أهل الطائعة ٥٧
أهل العدوة ١٨ - ٥٨
أهل عدوة الأندلس ٥٨
أهل عدوة المطيين ٥٩
أهل العدوتين ٥٨
أهل الغرب ١٠٥
أهل غرناطة ١١
أهل فاس ٤ - ٦ - ٨ - ١٢ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٩ - ٧٥ - ٨٥
أهل الفحص ٢٥
أهل مراكش ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ٤٩ - ٦٥ - ١٠٩
أهل المغرب ٦ - ١١ - ٤١ - ٧٦ - ٩٧
أولاد ابن عزيز ٢٤ - ٩٢
أولاد ابن اليمع ٢٦
أولاد أبي عزيز ٨٧
أولاد أبي الليف ٥٤
أولاد ذؤيب ٨٧
أولاد سجير ٧٤
أولاد زيدان ٧٨
أولاد القاضي ٢٦

حـــرف (ب)

بابا أبي فارس ٤٩
الباشا جؤذر ٤ - ٥ - ٧٢
الباشا محمود ٧٣
برابرة مجاط ٩٦
برابرة ملوية ٩٨
البربر ٣٤ - ٤٩ - ٧٣ - ٧٦ - ٧٨ - ٩٢ - ٩٧ - ٩٩
البرتقال - ٢٣ - ٥٠ - ٨٨
بنو جرار ٣٢
بنو حسن ٥٦
بنو سعد بن بكر ١٠٠ - ١٠٣
بنو العباس ٢٦
بنو كنسوس ٣٢
بنو مالك ٧٦
بنو موسى ١٠٠

حـــرف (ت)

التاعى ٧٦ - ٩٢
التباع ١١٠
الترك ٤٦ - ٤٧ - ٧٠

حرف (ج)

جوذر ٧٨
الجزولي ١١٠
جلال الدين السيوطي ٦٠
جلول بن الحاج ٥٩
الجوهر ٥

حرف (ح)

الحاج احمد بن عاشر ٩٥
الحاج علي سوسان ٥٨
الحاج المبر ٣٠
الحجاج ٣٩ - ٦٢
الحسن البصري ٣٩
الحسن بن علي ٦٦
حمو بن عمر ١٧ - ٥٦
أبو دبيرة حمو ٢١
الحناشة ٤٣
الحنفية ٤٢
الحيايبة ٧٤ - ٨٥

حرف (خ)

الخروبي ٣٣
الخضر ٤٤
الخلط ٧٦
خوان ٨٨
الخيزران ٥ - ٦ - ٢٢

حرف (د)

الدبيربون ٢٢
الدجبي ٧٦
دكالة ٥١
الدولة السعدية ١٠٤ - ١٠٨
دولة الشبانات ١٠٩
الدولة الشريفة ٤٥

حرف (ر)

الرشيد بن الشريف السجلماسي ٥٩
١٠٩
رضوان الجنوى ٥٨
روضة ابي الشتاء ٩٢

حرف (ز)

الزرهوني ٤١
الزمروري ٥١
الزمخشري ٧١
زيدان بن أبي محلى ٣١

حرف (س)

سالم السنهوري ٢٨
سانطو ٩٢
سحنون ٤٣ - ٥٤

سعد بن أبي وقاص ٨٧
سعيد بن جبير ٣٩
سعيد الدكالى ٦٩
سكانة ٦٦
سفيان ٣٨ ـ ٥٠
السنوسى ٥١

حرف (ش)

الشاذلى ٥٨
الشافعية ٤٢
الشاوية ٦٩
الشبانة ٣٢
الشبانات ٦ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩
شرافة ١٨ ـ ٥٢ ـ ٥٥ ـ ٨٥
الشيخ بن زيدان ٨٢ ـ ٨٣
الشيخ كدار ١٩

حرف (ص)

الصديق ٣٩

حرف (ع)

العباس بن عبد المطلب ٢٦
عبد الخالق ٩٩
عبد الرحمن الخنادفى ٥٦
عبد السلام بن مشيش ٥٧
عبد الصادق ٣٧ ـ ٤٨
عبد الصادق بن ملوك ٤١
عبد الصمد ١٨
عبد العزيز بن سعيد الوزكيتى ١٧ ـ ٧٢
عبد العزيز بن محمد التعلبى ٧٠ ـ ٧٢
عبد العزيز القسنطينى ٤١
عبد القادر ٤٩
عبد الكريم بن أبى بكر الشبانى ـ كروم الحاج ١٠٨ ـ ١٠٩
عبد الكريم بن الشيخ ٤١
عبد الكريم بن مومن العلج ٤١
عبد الله اعراس ٨
عبد الله بن الشيخ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٦ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٦ ـ ٥٨ ـ ٥٩
عبد الله بن طاهر ١٠٣ ـ ١٠٤
عبد الله بن المنصور ـ الزيدة ـ ٣٠
عبد الله السعدى ٤١ ـ ٤٤ ـ ٤٨ ـ ٧٠
عبد الله بن محمد المناوى ١٠٢
عبد الملك بن مروان ٣٩
عبد الملك الغازى السعدى ٤٠ ـ ٧٠
عبد مناف ٦٨

عبد المومن بن ساسى ٤٨
عبد المومن بن على ٤٥
عبو وبناها ٧٣
العبيديون ٢٦
عثمان ٣٩
عثمان داى ١٢
العثمانى ٧٠
العجم ٤٦
عجيب ٥٢ ـ ٧٣
العرب ١٨ ـ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٧٣ ـ ٧٦
عرب افريقية ٤٣
عرب الخيابنة ٢٠ ـ ٧٤
عرب السوس ٢٧
عرب الغرب ٧٤
عرب معقل ١٠٨
العلاء بن الحضرمى ٨٧
العلوج ٧٧ ٨٣
العلويون ٢٦
على ٣٩
على بن سعيد ٦٠
على بن عبد الرحمن ٥٨
عمر ٦٦
عيسى بن عبد الرحمن ٨١

حرف (ف)

الفشاتلة ١٠٣
الفضيل بن عياض ٣٨ ـ ٥٠
الفرنج ٥٠
فليب الثالث ٥٠

حرف (ق)

القبائل السوسية ٧٨
القبطان مراد ٤٦
القرافى ٩٩

حرف (ك)

الكرنى ٢١
الكدادرة ٩٢
الكنيم ٤٤

حرف (ل)

اللمطيون ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠
لويز البرتقالى ٣١ ـ ٦٩
لويز ماربة ٨٨

حرف (م)

مالك ٣٨ ـ ٥٠
المأمون بن المنصور الشيخ ـ ٥ ـ ٦

١٢ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠
٢٢ - ٤١ - ٤٨ - ٥٤ - ٦٦
مامى العلج ٥٨
الماوردى ٤٦
مبارك السوسى ١٠٠ - ١٠١
محمد باشا العلج ٧٨
محمد بن ابى بكر الدلائى ٢٨
محمد بن ابى عمرو ٤٨
محمد بن ابراهيم الشيظمى ٤١
محمد بن الحسن بن ابى القاسم ٣٨
محمد بن سليمان الملطى
- الأفرع - ٥٨
محمد بن الشريف السجلماسى ٨٨
١٠١ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٨
محمد بن الشيخ - زغودة - ٥٧
٧٢
محمد بن عبد المومن بن محمد
الشيخ ١٠
محمد السنوسى ٢٥
محمد الشرقى ٤١
محمد الشيخ بن زيدان السعدى ٧٢
٩٧ - ٩٨ - ١٠٢ - ١٠٣ -
١٠٤ - ١٠٧ - ١٠٨
محمد الشريف ٧٩
محمد الفزارى ٩٢
المرابط الاندلسى ٤١
مسعود بن عبد الله ٥٨
مسعود الشراط ٥٩
مسفيوة ١٧
مصطفى باشا ٩ - ١٣ - ١٦ -
١٧ - ١٨
مصطفى صولجى ٤٧
معاوية ٤٠ - ٦٨
المقدم ابو المليف ٢٢
المقدم التقسيس ٢٣
الملالقة ٣٤
المنتصر ٩٩
منصور العكارى ٤٩
منويل ٢٣ - ٧٧ - ٨٢ - ٨٤
١٠٩
المواف ٤٢

حـرف (ن)

الناصر بن الزبير ٧٤
النجليز ٩٤
النصارى ١١ - ٢١ - ٢٧ -
٤٥ - ٥٠ - ٥١ - ٦٩ - ٧٤
- ٧٠ - ٧٦ - ٨٧ - ٩٠ -
- ٩٢
نصارى الجديدة ٢٤ - ٢٥ - ٧٠

حـرف (ه)

الهبطى ٤١

عنتوكة ٣٢

حـــرف (و)

الوطاسيون ٥٥
ولد آصناك ٤١

حـرف (ى)

يحيى اجانــا الــوزكيــى ٧٢ - ٧٨ - ١٠٧
يحيى بن عبد الله بن بن سعيـــد الحساحى ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦
يسرزور ٥٨
يزيد بن معاويه ٣٩ - ٤٠
اليفرنى ٣٣ - ٣٤ - ٥٩ - ٦٠ - ٧٠ - ٧١ - ٧٦ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠٨
اليوسى ٢٨- ٣١ -٩٧- ١١٠
يوتس الايسى ٣٠
يونس اليوسى ٤٢ - ٤٣
اليهـود ٨١

فهرس الاماكن

حـــرف (أ)

آزمور ٢٤ - ٢٥ - ٣٧ - ٥٠
- ٥١ - ٦٩ - ٨٦ - ٨٧
آسفي ٣٧ - ٨٢
أرض المغرب ٥١
ادخسان ١٨ - ١٩
الاسكندرية ٩٢
افريقية ١٢ - ٤١
اكلميم ٧
أم الربيع ١٩ - ١٠٢
ام كرس ٦٩
الاندلس ١١ - ٥١ - ٦١
البلع ٧٩ - ٨١ - ١٠٢

حـــرف (ب)

باب الجنة ٥٣
باب الحميس ٨٤
باب السبع ٥٦
باب السلسلة ١٨
باب الفتوح ١٦ - ٥٤
باب المسافرين ٥٣
باب المعلقة ٧٥

البرج الجديد ٥٦
بر العدوة ٣١
بلاد تلمسان ١١
بلاد الخلط ٩٢
بلاد دكالة ٦٩ - ٧٠ -
- ٩٢ - ٩٣
بلاد الريف ٢٠
بلاد العرب ١٢ - ٧٢ - ٩٤ -
٩٥ - ٩٨
بلاد فارس ٨٧
بلاد الفحص ٢٣
بلاد المغرب ١١ - ٨٤
بلاد الهبط ٥٢
بوركراك ١٣
البيضاء ١٠٢

حـــرف (ت)

تارودانت ٦١ - ٦٤ - ٦٨
تازا ٧٣ - ٨٤ - ٩٩
تادلا ٤ - ٧١
تافلفت ٩
تامسنا ١٩ - ٧٣ - ٨٤ - ٨٦

تطاوين ١٢ - ١٩ - ٢٢ - ٢٣
تلمسان ٦ - ٨ - ١١ - ٣٧ -
٥٢ - ٥٣ - ١٠٣
تونس ١١ - ١٢ - ٤١
تبط ٨٢

حرف (ث)

ثغر آسفي ٣١

حرف (ج)

جامع القرويين ١٤ - ٥٤ - ٥٥ -
٦٠ - ٧٨
جبال الزبيب ٥٦
الجبل الاخضر ٦٩
جبل الحديد ٨٤
جبل جلير ١٠
جبل درن ٣٢ - ٣٥
الجزائر ٨ - ١٢ - ٩٠
جزيرة الاندلس ١٢
جزيرة العرب ٧٠
جزيرة قادس ٥٠
الجديدة ٣١ - ٦٩ - ٨٧ - ٨٨
جنان بكار ٨

حرف (ح)

حجر باديس ٢٠
الحرم الشريف ٣٩
حلق المعمورة ٧٤ - ٧٦
الحمراء ١٠٢
حوانة ٥
الحيانة ٨٦

حرف (خ)

الخندق ٧٥
خولان ٥٤

حرف (د)

دار ابن مشعل ١٦
دار القيطون ٥٤
دجاجة ٨٧
درعة ٨ - ٣٥ - ٥١

حرف (ر)

رأس الماء ١٩
رأس العين ٤٩
الراشدية ٣٠
الرباط ٨٤
روضة أبي الشتاء ٩٢

حـــرف (ز)

زاوية الدلاء ٩٠
زاوية القاضي ٢٦
الزرباطة ٥٨
زرهـون ٥٦
رداغـــة ٣٥

حـــرف (س)

ساحل البحر المحيط ٨٢
ساحل الرمل ٧٥
سجلماسة ٨ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٠ - ٤٧ - ١٠٠ - ١٠٢
سلا ٩ - ١٢ - ٢٤ - ٢٥ - ٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٧٥ - ٧٦ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٨ - ٩٢ - ٩٥ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٢
سلاس ١٠٩ - ١١٠
السودان ٥ - ١١
السوس ٨ - ١٣ - ١٧ - ٣٥ - ٤٧ - ٤٨ - ٦٠ - ٧٩ - ١١٠
سوق العطارين ١٠٠
سويقة ابن صافي ٨٩

حـــرف (ش)

الشام ١٢
الشياظمة ٨٤

حرف (ص)

صهاجة ٩٦

حـــرف (ط)

طنجة ٢٣ - ٧٥ - ٨٩

حرف (ع)

العـــرائش ١٣ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٣٠ - ٥٠ - ٥٤ - ٨٧ - ٨٩
العراق ٣٩
عين السبع ٧٥
عين القصب ٩٢

حـــرف (غ)

الغـــرب ٣ - ٨ - ١٩ - ٢٧ - ٤٣ - ٤٨ - ٩٤ - ٩٩ - ١٠١ - ١٠٢
غرناطة ١١

حـــرف (ف)

فاس ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٤ - ٣٥ - ٥٥ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٨ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٩ - ٩٧ - ١٠٣ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١

فاس الجديد ١٤ - ٥٤ - ٥٦ - ٥٨ - ٧٣

الفحص ٢٢ - ٢٥

فم تالوت ٣٢

حـــرف (ق)

قبور الأشراف ١٠٧

قصبة مراكش ١٠٧

القسطنطينية ١٢ - ٧٠

قشتالة ١١

القصر الكبير ١٣ - ٢٠

القرويين ٥٦

قلعة سلا ١٢

قنطرة المهدومة ١٨

حـــرف (ك)

كاغــو ٥

كركرة ٢٧

حـــرف (ل)

لطــه ٥٥

حـــرف (م)

المدائن ٨٧

المدرسة العنانية ٥٨

المدينة المشرفة ٩٢

مراكش ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٥ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٧ - ٤٨ - ٦٠ - ٦١ - ٦٥ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٦ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٢

مرسى الحلق ٥٥

مسجد الجرف ٥٥

مرس الرماة ٧ - ١٣

المسرة ٨٢

مسقيوة ٧ - ١٣

مشرع أبي الأعوان ٨٧
المشرق ٦ ٤
مصر ١٢
المعمورة ٥٠ - ٥١ - ٧٤
المغرب ٤ ١١ - ٢٦ - ٤٠ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٧ - ٦٠ - ٦١ - ٦٥ - ٧٠ - ٧٨ - ٨١ - ٩٢ - ٩٧ - ٩٩ - ١١٢
المغرب الأقصى ١٢ - ٢٧
مكة ٩٢
مكناسة ٣ ٤ - ٥٧ - ٥٨ - ٩٧
ملوية ١٠١.
المهدية ٥٠

حرف (و)

وادي ام الربيع ٥ - ١٩ - ٨٧
وادي بوركراك ١٢
وادي بهت ٥٧
وادي الساورة ٢٨ - ٣٠
وادي الطين ٥٧ - ٩٤
وادي فاس ١٨
وادي المرائش ٧٧
وادي العيد ٩٨ - ٩٩ - ١٠٢
وادي المخازن ٢٧
وجدة ١٠٠
الولجية ٨٢
وهران ١١

عبد اللطيف المراكشي المغربي
اللـــه وليـــه

